



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARIES



32101 017832724

---

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

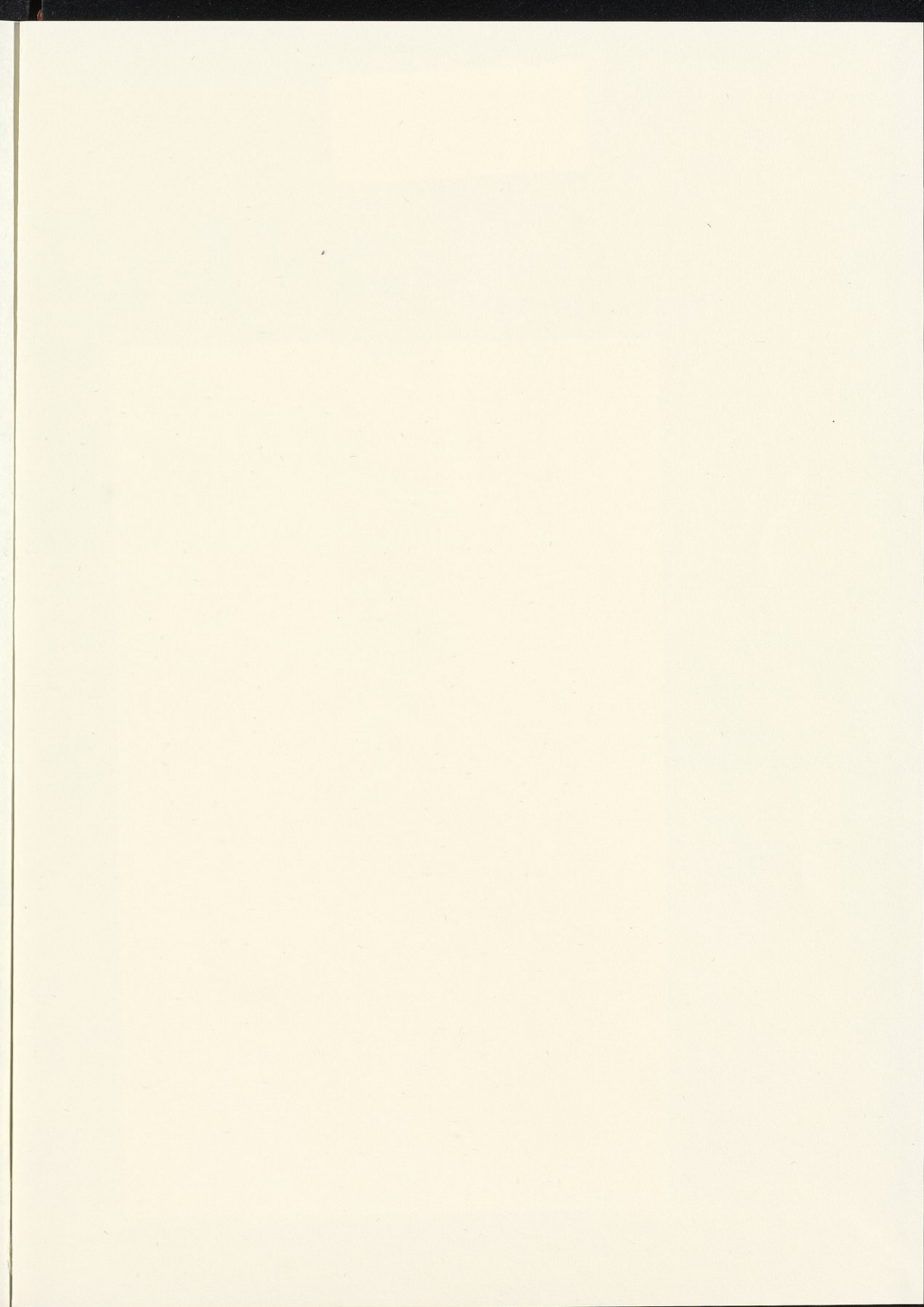
---

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*

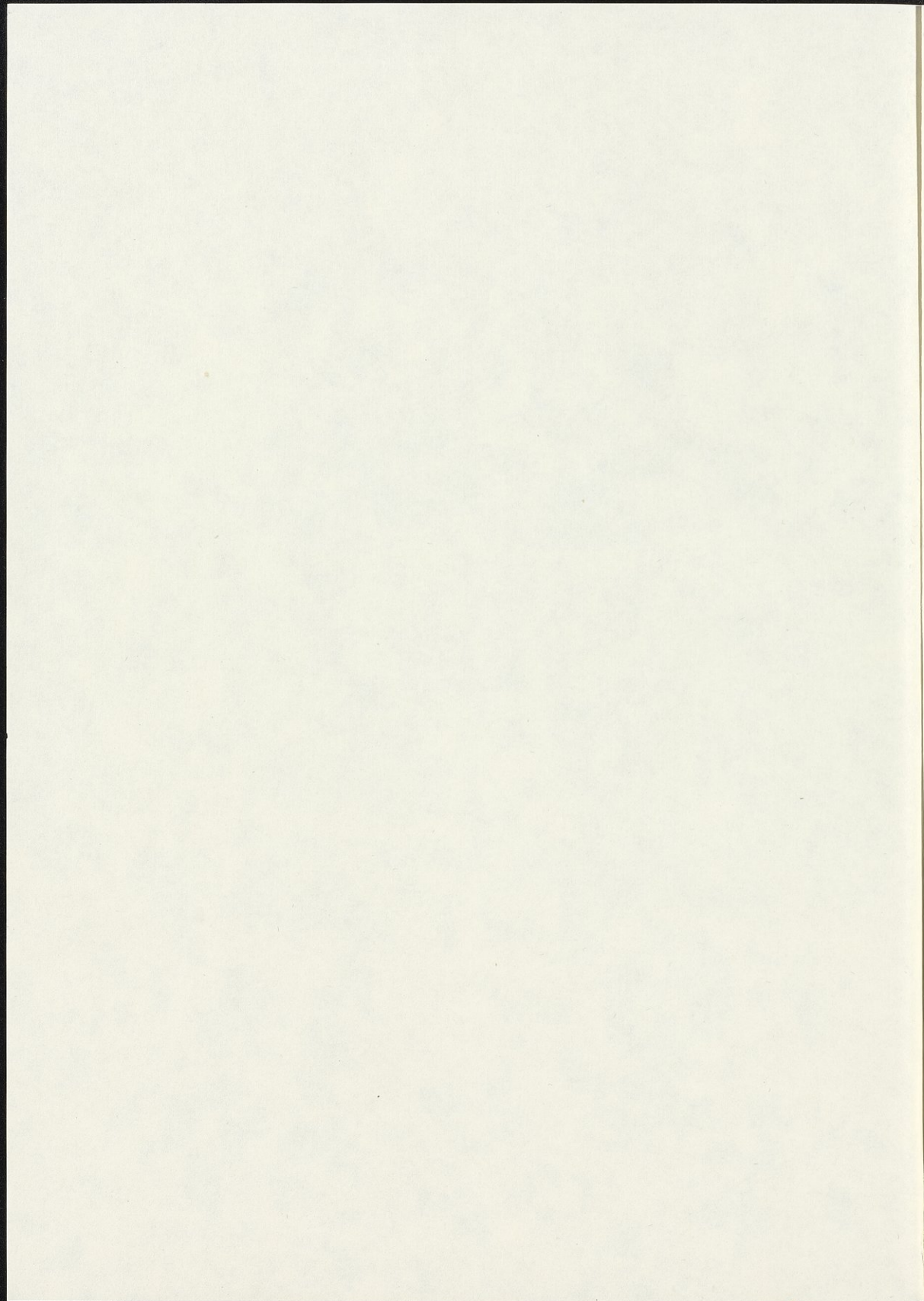
---

--	--

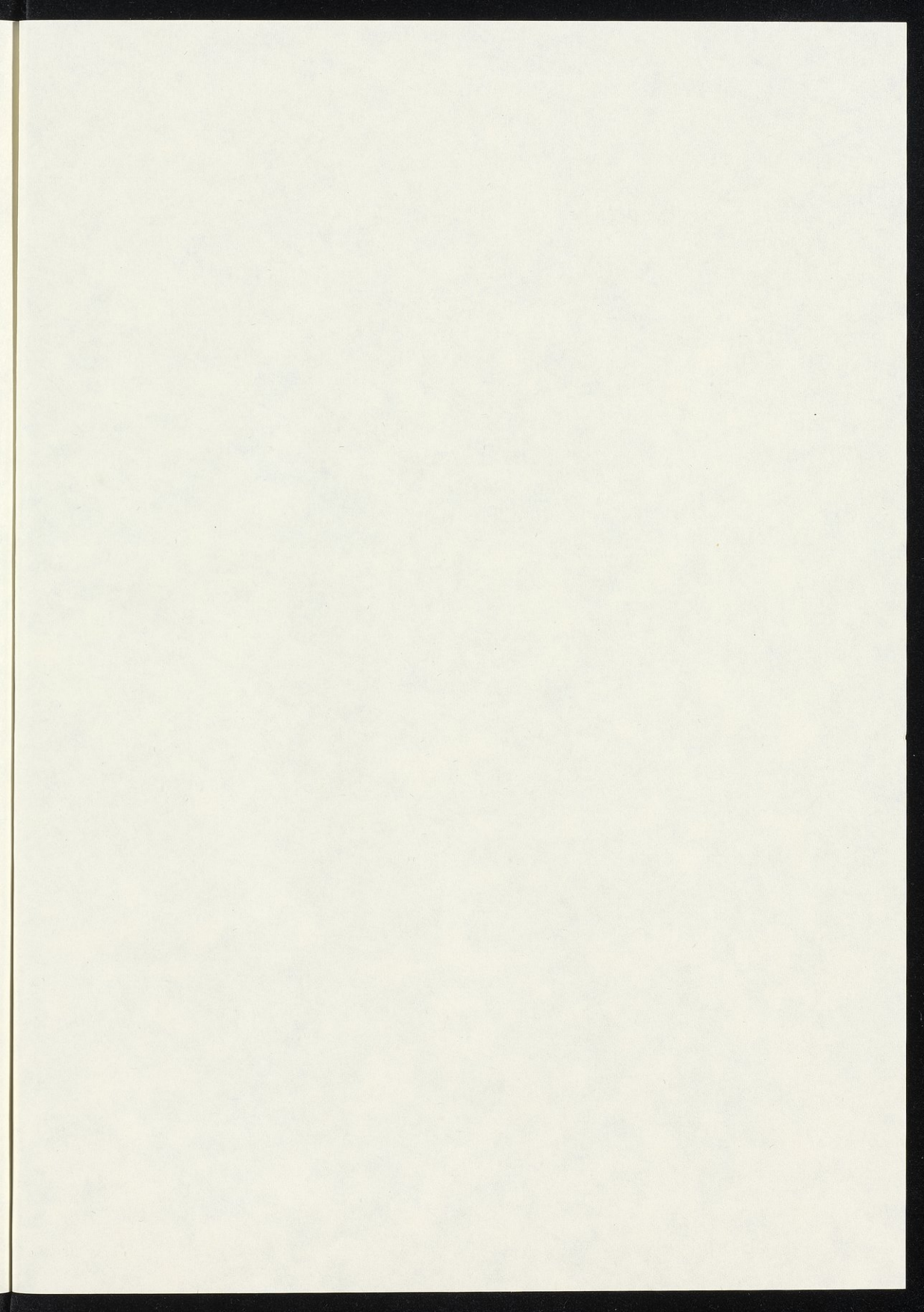


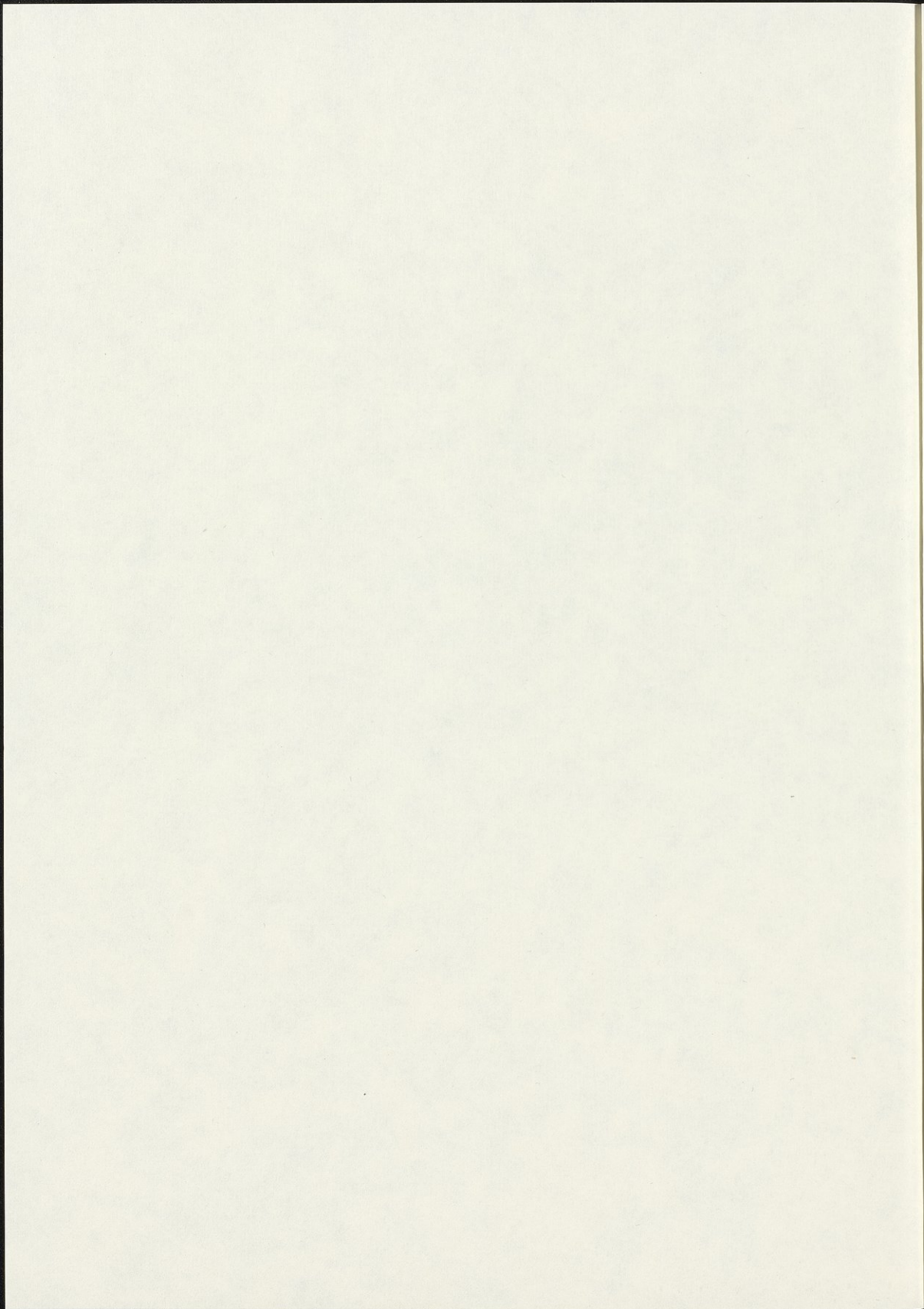




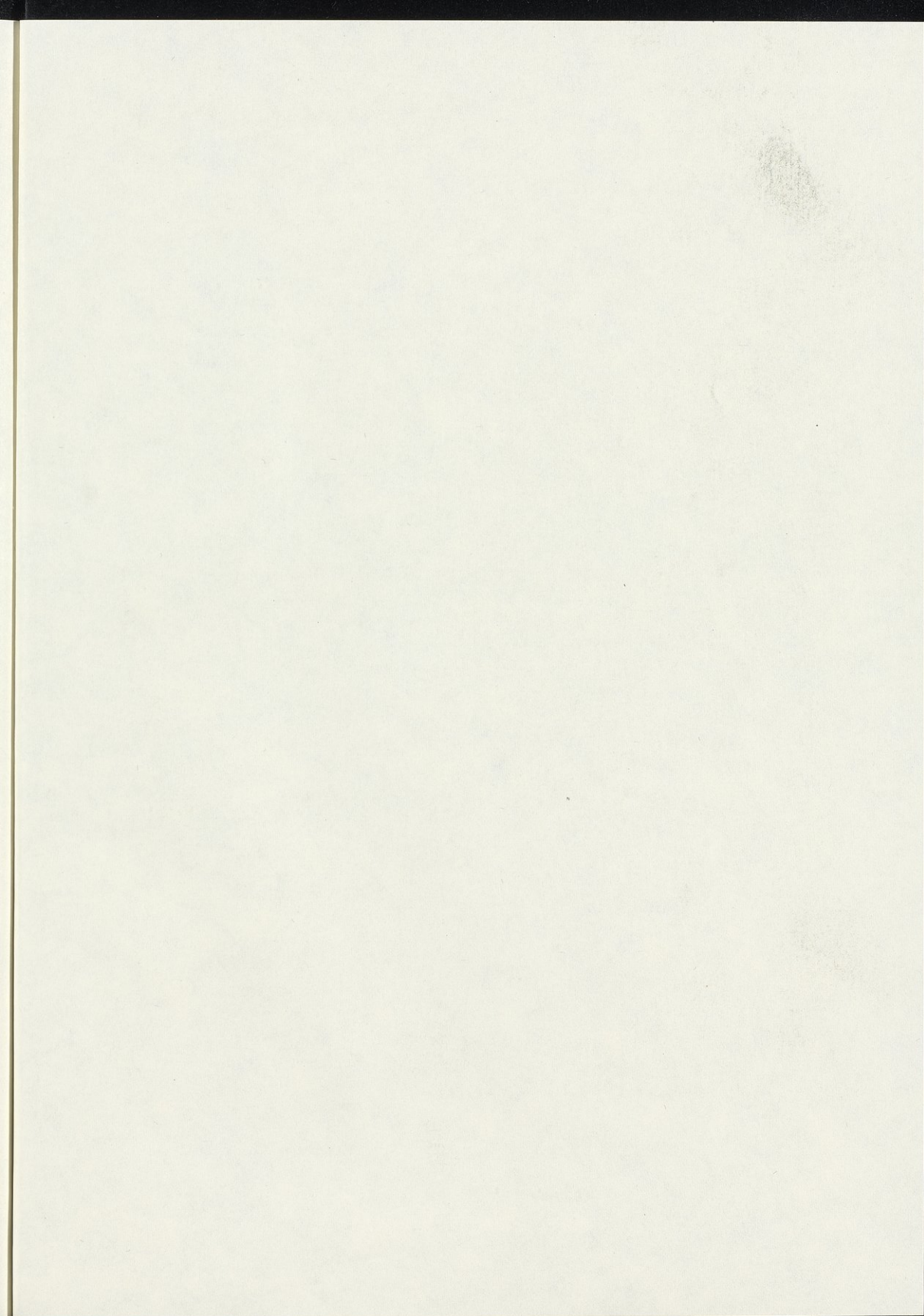














# المفكرة الريفية

(لقوار افندي)

امين نخله

الطبعة الأولى في سنة ١٩٤٢

معها ( قصة الفروس الأرضي )

مطبعة الكشاف - بيروت



1. 1. 1.

~ ~ ~

الى الأرفع أسمى الأستاذة قدري قلمي صديقي صاحب الطيف  
هدية بدمي نطق المعاندة نيا أفواج هذا المكتب.

Nakhlah

امين نخله

١٩٤٢

# المفكرة الريفية

(لفؤاد افندي)

امين نخله

الطبعة الأولى في سنة ١٩٤٢

معها (قصة الفردوس الأرضي)

مطبعة الكشاف - بيروت



(Arab)

PJ 7852

. A54 M8325

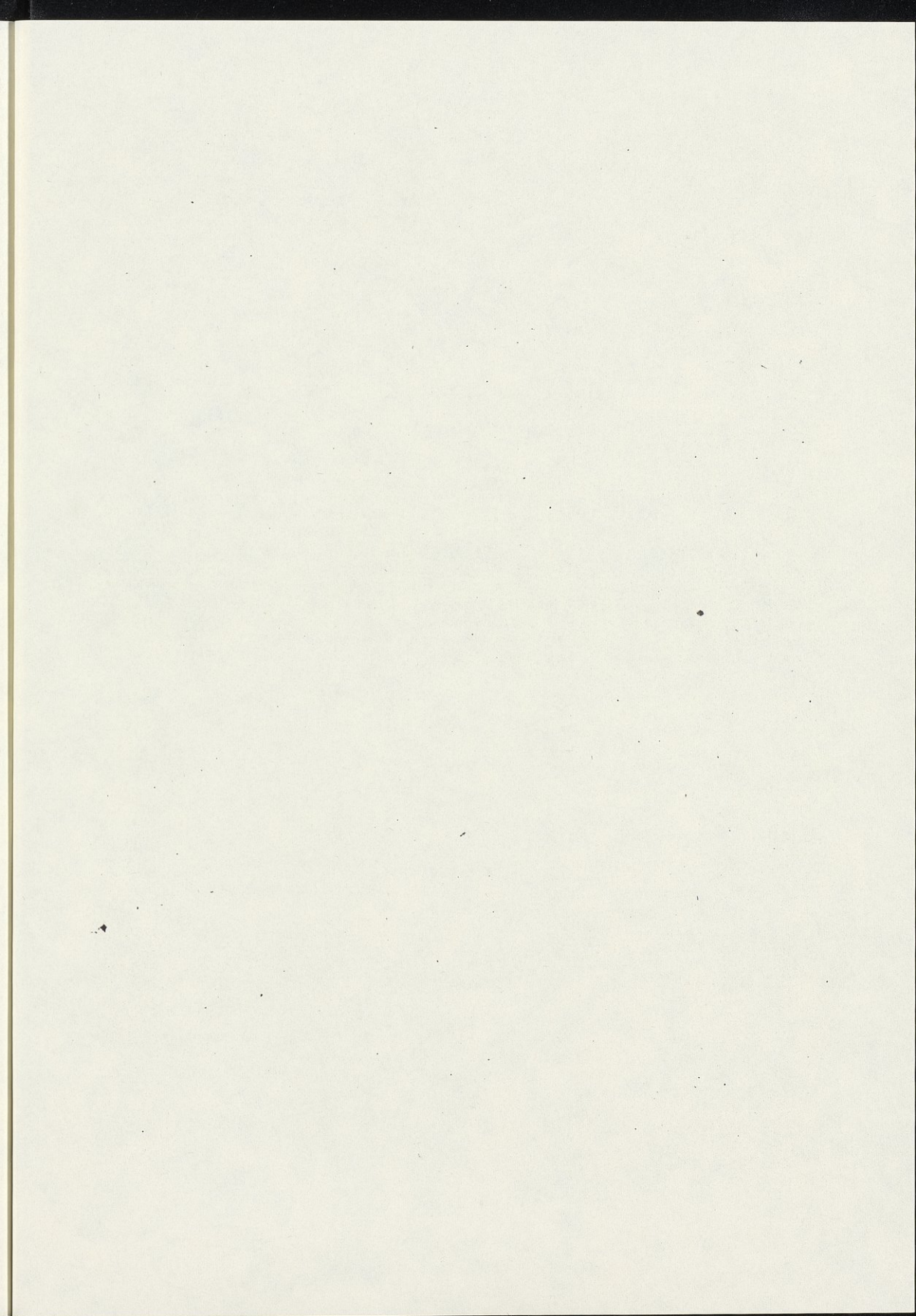
1942

وولد الفنّ يوم قالت الحبة لموآء: «أطيب أكلة في الفردوس: التفاحة»،  
بدلاً من أن تقول لها: «كلي التفاحة» ...

### فؤاد افندى

( وهي كلمة له في باب « بذور ريفية ، للزرع في المدينة » ،  
من « المفكرة » ، رأينا أن ن فصلها عن بابها ونفتح بها الكتاب ) .





## في سبيل المقدمه

دواة في الرّيف

الحبر ، ويحك ، نور أسود و كثر سائل اوهو عطر  
الدفاتر ، وشبّع الفراغ ، وريّ البياض ، وغيث الورق .  
بل هو نقش الهوى ، ولون العقول في القرطاس ، فما لك  
تخشى على اطراف اصابعك ان تُشاب بسواده ١٦

وليس من شيء هو الذّي في الشّم ، ولا أضوع ، ولا  
اقرب الى مرتبة التشبّهي ، من حبر جديد ، في كتاب  
جديد — تمرّ يدك عليه ، فكأنك تمسّ حركات الحواطر  
برؤوس اناملك ... بل انّ هذا النسيم ، الذي تؤدّيه  
افواه الدّويّات ، لأطيب من فم الحبيب ، ومن نفسه ،  
ومن زمان الوصل بالأندلس ...

وخير المداد : الأسود — فهو خبز الجميع ا اما ما  
كان منه احمر باحراً ، او اصفر وازسأ ، او اخضر حائشاً ،



فبحسبك ، من الكلفة فيه ، معرفة هذه النعوت التي  
له ا وخير ما يُنْغَطُّ في حُقِّ الذوق ومدھنة الرأي : قصة  
نبئت في بسيط أفیح ، وعاشت على طلاقة ، وضياء ، ومآء ،  
تلعب بين الرياح ، بلا مُعارض ، ثم بُريت على هواله ،  
وُسُقَّت على خَطَّتْكَ في تحريك القلم .

وبعد ، فباعجبا لهذه الدواة ، في هذه الزاوية من  
الريف ، كيف نُسيت بلا ختم ا أفلا يخشى الذي ترك  
هذا القمقم السحري بلا سداد أن تهيج رائحته ، وتطير  
الى انوف الفلاحين ؟ ... ا

ابن

## المقدمة

يوم نشرت في الصحف طائفة من فصول هذه  
المفكرة ، كان همنا ان نمسك عن ذكر القرية ، التي كتب  
فيها فؤاد افندي خاطرات باله . اما اليوم ، وقد انكشف  
الأمر للقراء ، واصبحنا لانستطيع ان نخفي عنهم شيئاً ،  
من ذلك ، فاننا نسوق ( التمهيد ) القديم ، الذي استهلت  
به فصول المفكرة ، ثم نسوق تعريفاً بقرية فؤاد افندي ،  
كتبه المؤلف في بعض المواضع من كتاب ( التفاحة ) —  
وهو الكتاب الذي لم يجتمع ، الى الآن ، فصوله ،  
ولا أصابه ، والحمد لله ، ما أصاب هذه المفكرة من  
شمّ وعضّ ...

التمهيد القديم

يسكن فؤاد افندي عند حدود الضيعة ، في بلاد



الجليل ، بيتاً فيه حديقة ، وبركة ، ومطهرة ماء . فأتى  
يعوزه ، بعد ، ليطوف كل يوم ، في مناكب الدنيا — في  
الحديقة ، ويجوب البحار والخلجان في البركة ، ويطلع  
على خوارق العلم وحضارات الحديد في مطهرة الماء ؟

ثم ما يعوزك ، انت — انت ايها القارئ — من  
أمره ، وما عليك منه ، فتسأل عن ابيه وجدّه ، وعن  
القرية التي يقوم في ظاهرها بيته ؟ فيا سبحان الله ! كأن  
هذا الأنف ، الذي رُكّب في وجوه الآدميين ، ( علامة  
استفهام ) مقلوبة ، تُفرز في كل طارئة احق لتري الواحد ،  
حين يدير وجهه بهذه العلامة الطالعة ، وهو كأنه يوشك  
ان يضرب بها رأس المسألة . . .

فيا هذا القارئ : ما الذي يعنك من ابي فؤاد  
افندي ، وجدّه ، ومن قرية ميلاده ، ومن قيام بيته ،  
فيها ، بين المزارع والمنابت ، لتأتينا ، الآن ، تطرح  
عينك في الخريطة اللبنانية ، مفتشاً في الريف العالمي ،  
عن قرية ، يكون على حدودها بيت بحديقة وبركة ،  
وبرجل اسمه فؤاد افندي ، يعيش وحيداً من الناس ،

ويكتب خاطرات باله في دفتر صغير ؟  
 أفلا يكفيك ، من انكشاف الغطاء ، ان فؤاد  
 افندي يطالعك ، على يدنا ، بطائفة شهية من نتاج ذهنه ،  
 ومحصل نظراته ، فتلذذها ، وتنعم بها ، وينقضي الامر ؟  
 ام انك تظلّ علينا قائماً ، تريد ان تتسقط الرجل عن سره ،  
 ونحن نردك عنه ، حتى تضيق بنا ، وتنقلب ، من  
 الغيظ ، عناً !

فبارعاك الله : نضرع اليك ان تصرف انفك عن  
 هذه المسألة ، وتريح نفسك منها ، وتريحنا ، وتترك فؤاد  
 افندي آمناً في سربه ، قريراً في معتزله . فهو قد انكش  
 عن الناس ، ولزم بيته ، مخافة انف يدخل عليه ا — عدا  
 ان معرفة ذلك لا تجديك شيئاً ، ولا تزيد شيئاً في قيمة  
 هذه الفصول .

فاماً وقد قررت الفورة ، بين القارئ وبيننا ، في  
 هذه المقدمة القصيرة ، فها نحن أولاً ، نلوي على خاطرات  
 صاحبنا ، وهي كما وقعت لنا : لا متصلة ، ولا مؤتلفة ،



ولامغمورة بالخاطر الشائع، المسموم الأطراف، الذي يصدر  
عنه الكتاب، في مثل هذه القرحة من الكتابة.

### التعريف بقرية فؤاد الفندى

إذا اندفق النهار، فسأل على مباسط الجبل، رأيت  
ضيعتنا عند صعدة (السقي\*) في بيوت متفرقة، ناصعة  
من مسح الثلج، وحفّ الريح... وفي دروب تذهب  
خلل المساكن والأشجار، كما تلوي باصبعك... وفي  
جدول يلتف على جنبات القرية، كأنه العقدة الزرقاء.  
على طاقة الياسمين!

وأصدق التشبيه لهذه البيوت، القائمة من فوق هذه  
المهضبة، ان تقول فيها: جنة بيضاً، في بعض اخضرار،  
مرفوعة على جنة خضراء، في بعض بياض اكل ذلك في  
مدى طويل، تماشيه المهضبات الجرد، على الجانبين،  
وتغدو وإياه في اختلاف: تمام وحشة على تمام أنس...  
هذه جملة ما يعرض للعين، من ذلك اللوح الريفي

\* - (السقي) ضاحية هنالك، على النهر، و(الفندى) موضع، بينه،  
بازاء (السقي).

المنمَّق . أما الذي يطرق الأذن في الساعة الفجرية ، او في الظهيرة ، فصرخة الديك الملهوف ، عند ضاحية (الفقر) ، او رنة الفأس على جذع شجرة ، او هدير الطواحين ، الذي تهم البيوت البعيدة ان ترجمه . . . . . واذا افلتت البقرة من يد الفلاحة الصغيرة ، وانطلقت على رأسها ، خلف الشجر ، تجاوبت القرية بصيحات الناطور — فنواطير ضيعتنا غير نواطير مصر !<sup>(١)</sup>

ثم هاتِ اصابعك ، اعدّ عليها المحاسن ، ممّا حولي :  
اسم ضيعتنا — فتكاد تسمع جلبة النهر ، حين يُلفظ<sup>(٢)</sup> ا

النهر ( ذو الكرم الدافق ) — يسقي على الجانبين ،  
ولا يبخل بقطرة .

درب النهر — تنحدر الفلاحات ، في عشايا الصيف ،

(١) وهي التي نامت عن ثاليتها في دالية (ابي الطيب) : «عدياية حال» .  
(٢) الماء عندنا ، في بلاد الجبل ، اوفر اثرا ، وابقى شاهداً من الضيآء .  
واذا جاء نيسان بالدجن ، وسقيط النيث ، احسن اهل الريف ان زمانا ، اخضر اللون ، نسيته عبوضم ثمانية اشهر ، جاء من وراء البيوت ، يدخل من النوافذ ، عليهم ، ومن شقوق الجدران . . .



بالجرار الحمر ، ويسلن فوجاً غبّ فوج ، فتغدو الدّرب  
نهرأ للأحاديث والغبطة، يصبّ من الضّبعة الى الوادي...  
( الدّرب ، التي بين البيوت ) — فها هنا تُنقل

الاقدام ، الذّ النقل ، في اثر بعض الخطوات .

خيمة الناطور (وهي في رأس الجبل) — فتلتقي  
عندها العيون ، من كلّ حقل .

ريح الجبل — وهي التي تهبط علينا ، من فوق ...  
مقابر الفلّاحين — فلا بلاطة ، ولا كتابة . بل طيب  
تراب الأحبّة يدلّ على مراقدهم .

الحمام الأبيض — الذي يصفّق في جوّ ازرق .

مزار الشيخ عزّ الدين ( الذي على الربوة ) — تسعى  
اليه المصاييح ، في ليالي الجمع . فالشيخ وليّ الله ، آمن به  
وباليوم الآخر ، فاعتزل الناس ، وأطرح الاباطيل . وهو  
لم يذق الحمر ، عمره ، فلما مات دُفن في وسط الكرم ،

على رأس الربوة ا

كنيسة مار جرجس — الذي يجبه القرويون كثيراً ،  
ويحلفون برأس حصانه .

عرائش ( السقي ) — التي يغنيها اهل الزجل ، في  
المواسم ، فتتدلى منها العناقيد ، والقصائد ا  
— العناقيد يومئذ ...

الجر الأحمر — فبين يدينا ، في المواقد ، في أيام  
الشتاء ، الف خذ يلتمع .

ثياب الرعيان ، ساعة يرجع واحدهم ، في عشية  
الصيف ، بقطيع الضأن — فتعقب من عبائه روائح  
المراعي ، والجبال البعيدة ا  
— قصص الرعيان ، هؤلاء ...

الطواحين ، التي تهدر بين الاشجار — تهوم لهذا  
الجمال الأخضر ، وهو ، من توالي الهدير ، كأنه ينفس ا  
اغصان الشجر — حين تتبادل الاشارات .  
سدُّ النهر — يفتح ، ويسدُّ ، على هواه ا فلا حاجة ،



في ضيقتنا ، الى وزير من (هولاً نده) ...  
السروة السوداء (الصاعدة في الجو) - فكأنها ،  
ونسط ذلك ، لفظة (آه) على الجمال الأخضر ...

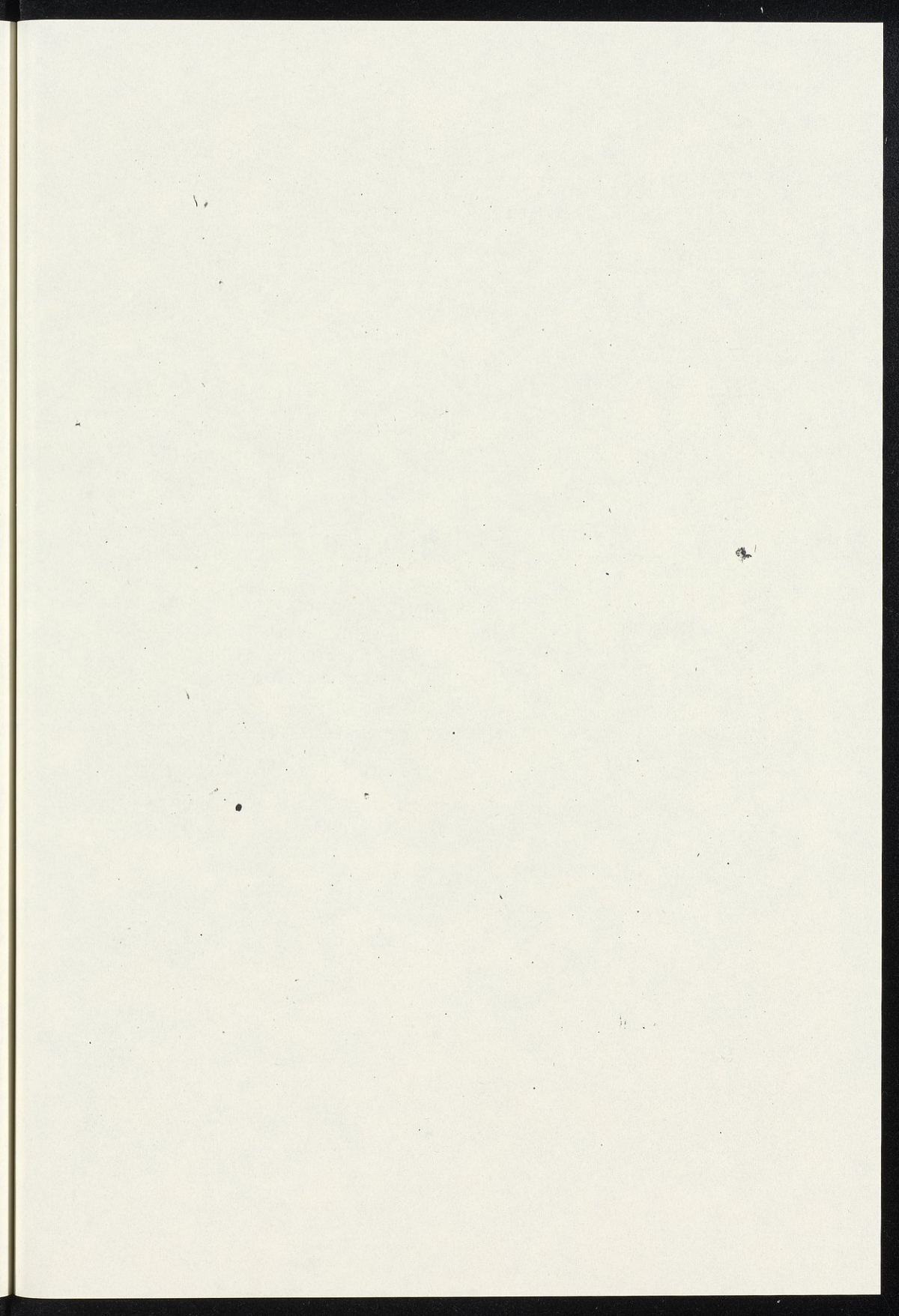
( بيروت ، في شهر نوآر ، سنة ١٩٤٢ )

# الكتاب الأول

في بلاد الجبل

« المفكرة الريفية - ٣ »





# على درب الريف

## دروب الريف

الدرب في الريف غير الدرب في المدينة ! فهي التي  
تنهض من مهددة الى ربوة ، وتدور من خلف شجرة ،  
وتعرج على عين ماء ، وتتوقف في ظل حائط ، وتنطرح  
على باب بيت — تمشي على هواها ، والدرب في المدينة  
تمشي في خط مستقيم . . .

والدرب في الريف بيضاء ، تتلوى في خضرة ، وهي  
في المدينة سوداء ، فاحمة ، يعوزها الشجر ، على الجانبين ،  
لتأنس بعض الأنس ، فوق ذلك السواد الطويل !

وعلى دروب الريف تعرف عابر السبيل من وقع  
خطوة ، وعلى رصفت الشوارع تتشابه الأقدام ، جميعاً ،  
في الحركة .



وكلّ درب في الرّيف قديم . فيقال عندنا : فلان  
حوّل دربه عنّا — يعنون انه غير عهده ، او يقولون :  
فلان حوّل الدّرب الى جهة كذا — يعنون انه غير معالم  
الحدّ ، وخرج على القانون... لذلك تجد الدّروب الرّيفيّة  
محطّات للتذكّر : فيها هنا زُفّت عروس ، وهناك خرجوا  
بنعش ، وهناك وقفوا ، ولوّحوا بالمناديل ...

### مهمة البركة

في الرّيف ظلّان يحلوا لظهر الأرض حملهما : ظلّ  
الشجرة ، وظلّ الفلاح ايدلّ الأوّل على ان التربة جيّدة ،  
ويدلّ الآخر على انها تعطي ، فلا ينبغي ان تُترك .  
فكأن ظلّ الشجرة وفاءً من الأرض للفلاح ، وكان  
ظلّ الفلاح وفاءً منه للأرض ا

والشجرة في الغابة كالرجل في الشارع : لها الف  
تظير . فأما حين تنفرد في حقل ، او على رابية ، او عند  
منعطف طريق ، فهي ملعب الريح ، وملتقى الطير ،

وماثدته ، ومرقص مناقيره بين الورق والشمر . . .  
فياخيمة البركة : هنيئاً لنا بانفرادك ا .

### القمح

تهبُّ الزَّعازع في كرة الأرض ، ويجري الدَّم ،  
وتلعلع الأصوات ، من أجل القمح — لا من أجل  
الحلاوات بلباب الجوز واللوز !! فهذا ( الخبز اليومي )  
ينبغي ان يتوفر كل يوم اوالدم البشري يُقات بالنَّشأ ،  
والآبئة التي يستشعرها الفلاح ، حين ترقص رغفان الخبز ،  
تحت سقف بيته ، لا تُفقد بالهين ا ا  
فأسأل الله لهذه الاتلام ، الذاهبة في الحقول ،  
كالجداول ، ان تصبَّ القمح في كل عام ، وان تسيل  
أماناً ، وسلاماً ، وخوفاً من القانون ا  
وفي العلوم ، اليوم ، علم اسمه : علم القمح — وهو ،  
في ما اعرف ، أجدى العلوم الأنسانية ا فأسأل الله ان يجي  
يوم يقال فيه : فلان علامة بالقمح ، فهامة بالسَّنبِل . . .



### الملاحة الريفية

تقول للرجل من اهل الريف: كيف بيتك؟ فيقول:  
عليّة تنهض بين الرياح الأربع، ولا يخرق سطحها المطر  
فتمجب له، وهو يقيم في ذلك السكن الوادع، طوال  
عمره، لا يأكل الطيب، ولا يلبس الفاخر، ولا يجلس  
على الوطني، كيف لا يتجافى عن مشقة، ولا يتأبه  
من قناعة !!

ان الديار، وبقاع المشوى، وتربة الصبا، هي التي تحضن  
الأذواق، والأنساب، والطبائع — فضلاً عن التاريخ  
الحلي، الذي يُحفظ في مجرى ساقية، أكثر مما يُصان في  
جوف كتاب، ففي هذه المروج الريفية، وكأنها من  
بلج، وفي هذه الاشجار، وكأنها من زمرّد، يعيش  
واحد، على طول اللبث، تعلقاً بقبر دارس، مثلاً، لا  
بشجرة فينانة، تعلق في النسيم...

### الزهرة الآدمية

المرأة في الرّيف أجلّ منها في المدينة ، وشأنها فيه  
أمثل ، وفضلها أتم . وهي في حقل السّنبل ، او على  
القطف ، خلف العنب ، اكرم يداً منها في جمعية الفنون  
الجميلة .. فالأجر على قدر المشقة !

ومصاحبة المرأة للرجل ، على العلات ، حتى في أحقر  
مصايره ، في الرّيف ، بين التقلّب والمعاش ؛ اسطع برهاناً على  
كونها قد خلقت لمقارنته ، من قيامها الى جانبه في مناعم  
العيش ، ولذائذ الملهى والمطعم .

غير اني لا اعرف في الحزن شيئاً يجرّك النفس ،  
ويستدعيها الى الوحشة ، من مثل وجه امرأة عباس ؛  
يطلع عليك ، في الرّيف ، بين الورق الأخضر والماء  
الدافق ... فكأن الرجل الرّيفي قد أيبس هذه الزهرة  
الآدمية !

فيا ربّ : آدم ألفة ما بينهما ...



### صلاة العنز ( في الريف )

ربِّ اسجدتُ لك على ركبتيّ ، وخفضتُ قرني ،  
هذين ، من فرط الخشية ا فامسح الأرض عشباً ، وورقاً  
اخضر ، واطلق حياض الماء ، واملأ الصهاريج ، ومد  
بساط الظلّ في أذى الهواجر .

ربِّ ا واجعل قلوب الرعيان تحقق من رحمة ،  
وعصيّهم تلمس من ليان ، وقصبات مزاميرهم تسيل  
من طرب .

وياربِّ ا أسألك بالغمام اذا نهض ، والغيث اذا سقط ،  
وبهذه اللجج من الحضرة ، كما أسألك بالزرب والمرعى ،  
والقربة والعصا ، وبالجلجل وطنينه ، وشبابة القصب  
وحنينها ، ان لا ترسل بي الى المدينة — آمين . . .

### الأنهر الشتائية

هذه الأنهر الشتائية ، التي تصبُّ في الريف ، من  
فيض الكفاية ، تهجم عليك بالكآبة ، وتستقبلك

بالانقباض — وليس ذلك من جهامة منظر ، وقبح طلعة ،  
بل لكونك تعرف ، في ذات نفسك ، كيف مصايرها  
في بوارح القيظ ، يوم تجري الجداول ، على بطائح العشب ،  
بشفاء الغليل ، وتدب هي ، في قاع المجرى ، بذابل  
علته خضرة ا

وهيئات ان يشفع بها ، في عينك ، اليوم ، قاعدة  
جمال الأشياء التي لا تنفع شيئاً ...



## الريف في المدينة

التفاحة ، عند بائع الفاكهة ، تبكي على أمها ،  
وتذبل على ذكر أيامها في وطن التفاح ، وربما اطلت من  
قمة القصب ، بخدّها الأحمر ، وهي تكاد تقول :  
ارحموني من نهش وعض  
اما بوا كير التفاح ، فهيات ان يجد بائعها مشترياً  
يفرز اسنانه في خدود اطفال الشعر ، ولا يبالي . . .

وعند بائع الزهر ، تطالعك الوجوه المدورة ، من  
كل لون ونوع . كأنها قد عرفتك ، او حسبتك قادماً ،  
من الجبل ، لساعتك . فتكاد تسألك عن شقائقها في  
بعض الوهاد ، وتغمزك ، في ذلك ، بأطراف عيونها —  
مخافة ان يراها صاحب الدكان !

ثمَّ ينكمش قلبك ، من الحزن ، على تلك الزهرات  
المقطوفة ... وقد فارقتها الشدا ، واقامت في آنية الغربه ،  
تنتظر رحمة الله ...

أما العنب ، في دكان الفاكهة ، فهو ظروف الحلاوة :  
يدبق ، وينضح ، ويكاد يقطر الى الأرض — فأياك ان  
تمسه ، يلصق باصابعك ... اصبح العنب ، في المدينة ،  
لا يصح ان يفضى اليه باليد ، من غير حائل ، وقد كان  
في الريف ، امن ، حبوب الرقة ، التي تجري مع الريق ا  
وأما البطيخ الجبلي ، فيعجبني منه عناد رؤوسه ،  
في زاوية الدكان ...

والقثاء الطويل منبسط في الأرض ، من الغيظ ،  
على فرقة عصي النواطير ا

واللوز الأخضر — وهو من جلب الجبل ، كأنه



حبوب ربيعِيَّة ، توزَّع في المدينة ، كما توزَّع البركة ...

والديك ، وهو فحل المصطبة ، اصبح في القفَّة ،  
عند بائع الدجاج او من ذا الذي يصدِّق ان الصبح ، في  
الجليل ، صار يطلع بلا حاجة الى صياحه ...  
واين ميزة التيقُّظ ؟ اين عين الديك ، وصيحة  
الديك ، يا باعة الخير ؟ ..

وياسجين القفَّة : ان صديقتك ، في الجبل ، ( الدجاجة  
البيضاء ) حرام عليها صحن الدار ، من بعدك !

وعند الصيدلي ( يخبى ... ) البنفسج في بعض  
الأوعية — لا يترك شيمته الحلوة ، وان اصبح في بضاعة  
العافية ( فهو يشفي البطون من الكظَّة ، ويدخل عليها  
الانتعاش ) .

فيا عجباً لذلك المتواضع اقيم بين قناني الزجاج ،

فلا يضرب برجله من الانتفاخ والتعظم ، على انه دواء العيون وهو رطب ، ودواء البطون وهو يابس ...

والعصفور ، بطل الحرية ، ومقلق الغصن ، اصبح في القفص ، عند بائع العصافير اهو ابن الجبل ، وبلاد العالية ، وقع في اليد ايقال في المثل : ( صبيحة في واد ) ، وفي هذا المقام يصح تغيير المثل ، كرامة لعيني العصفور : ( صبيحة في شارع ) ...

واين الحرية التي ترجح ، عند العصفور ، بالأهل والروح ؟ اين التطويف ببلاد الجبل ، والسقيا من ماء العيون ؟ !



## بين الريف والمدينة

### الطبيعة الخمرية

إذا كانت المدينة لليوم القائم ، والجديد المتتابع ،  
فالريف ، وهو مناطق الصمت ، واقطار السكون ،  
للماضي اها هنا تقف على كل دمنة ، وتبكي من كل  
ذكرى ، وتقول في كل أثر : كان ذلك ، والدار جامعة ،  
والملتقى كئيب ...

فالريف ، اذن ، باصداء الماضي ، وتذكاراته ، حرم  
مهيب - وهو بدا أشهى من ظنك به مائلاً في الحلي  
والزخرف افاذا تقضى زمن المطر ، وجاء الصيف ، قصد  
الناس بلاد الجبل ، افواجاً ، ينزلون فناء الطبيعة القديم ،  
ويخلعون فيه ثوب الزمن الجاري ، وقد ضيق عليهم ، في  
المدينة ، تسعة اشهر .

ورأس السبب في التذاذك بالمعالم الريفية ، وهرعك

اليها من المدينة ، مل فروجك ، هو ليس هذه الهندسة  
الريفية الحرة - لا قيام البيوت والشجر ، علي هوي  
الباني والفارس ، ولا ذهاب السكك بين افواه الأودية ،  
وظهور الحدائق . بل رأس السبب ، في ذلك ، هو هذه  
الطبيعة الخالصة ، التي تحس معها انك شريك لها ، من قديم ،  
في مخازن النعم ، فلطالما عصمتك من فقر ، واعاذتك من  
هوان ، ورجحت في قلبك ايثار الحرية !

### الماء الريفى

لو لم يكن الريف الا انه وطن الماء ، الذي يندفق  
من مهجة الأرض صافياً ، حرّاً ، لكفى افاالمدار في قيام  
العلاقة ، بين السماء والأرض ، هو على الماء الولاه لما  
كان لكل ربوة نسيم ، ولكل غيضة ديمة ، ولكل وادٍ  
طراوة ، ولكل صوب من الأرض جو ، ولكل يوم  
من الاسبوع هوآء يفرقه عن الستة الأخرى . وليس  
الماء المقصود ، ها هنا ، ماء البحار ، والبحيرات ،  
والأنهر العظيمة ، فان هذه المجامع المائية تقوم بازاء



المدن ، وكأنها ، مع لصقتها بها ، مستقلة عن التراب ،  
 لا علاقة لها بلون النبتة على الأكمة ، ولا بنداوة الحجر  
 في القاع ، على انها دَرَج الماء الى السماء في اعجوبة المطرا  
 فالماء المقصود ، اذن ، هو ماء العيون والحياض  
 والصحاريح ، الذي يندس في تربة الريف ، وفي اوردة  
 اهله وشرابيينهم ، ويلوح لوحه في الخضراوات والحدود...  
 والماء الريفى هو الذي يخلق هذه الميزة (الذاتية) ،  
 بين بقعة وأخرى ، من الأرض . تقول : ( ديار اقامة ،  
 وهوآء ، وانتعاش ، وفيض خير ) ، وتقول في ضد ذلك :  
 ( ديار لا يتنفس فيها خاطر — فلا بارك الله فيها ) ١١  
 وسبب هذا ، كله ، مردود في الأصل ؛ الى عين جارية  
 في الريف ، او ساقية مندفة ، فيه .

### نبع الربة

القرية نبع المدينة اتصب فيها السكان ، من اول  
 الزمن . ولا بد لكل واحد ، في المدينة ، من هوى  
 ينزع به الى نبعه ا فتجد في الزهرة ، التي يشكها ذلك

( الأفندي ) في عروته ، ويجول بها في عرض الشارع ،  
الف برهان على أن الأصل عون — كما قد قيل في  
المثل ... وعلى أن العروة ، لو كان لها شفتان للنطق ،  
لهتفت بالحنين الى واد روي ، وحقل رغيد ١١



## اخبار ريفية

جاء نيسان ...

قدوم سعد ، وعودين — ان شاء الله ا واهلاً  
وسهلاً بالقمر ، ويا فرحتنا باللون الاخضر ، والنسيم  
الطفل ، وزم فم البرعم ، وبجركة العصفور ... ولولا  
ثقل الوهاد ، لقام الريف لنيسان ، كما يُقام للأجلاء .  
فيا غيثاً ، ويا غوثاً ، ويا خير قادم : الارض عجيج  
مسيل ، ورجفان طرب ، الى زهر أبيض يضحك  
ويتهلل ، كأنه رقاع المواعيد تتفتح ... فمن للنازح ،  
التارك ، بمن يقول له : جاء نيسان ، فجيئنا ، تنهض  
من بعد الى قرب ، ومن فرقة الى لقاء ، ونسيم أهل ١١  
ويا هذا الفلاح ، الأسمر — ذا اليد الجافية من  
العمل — الذي خرج ، على بكرة النهار ، الى حقل كأنه

منديل عروس ، فلماً دار الف بقعة ، وارفص عرقاً ،  
اسند ظهره الى جذع شجرة ، وجلس يكتال الريح - :  
هنيئاً ، مريئاً ، وعرق عافية ، باذن الله ...

### الى ذوى الذوى البرى

سقى الله المراعي والحشيش ، وایامنا في الجبل ،  
بالحمر الفارهة ، والبراذين الخفيفة ، وزماننا بارخاء فضل  
الرسن ... فدابة اليوم ترعى في لحظة ، وتشبع في لحظة ا  
وقفة عند مطفرة البنزين ، ثم تنطلق بك ، لا تعقرها برذعة ،  
ولا يمضها سفر ، في نهار او ليل ، بينما انت بها على ثنية  
الوداع ، اذ بك في ديار الاحبة ا

فاله زمن (الميكانيك) ، لله هذا الزمن اكرة الأرض  
صغر حجمها ، والجهات دنت ، والمسافات قربت ،  
وقاوج الناس بعضهم ببعض الفة . فكيف الفرار من  
هذا التواصل الجديد؟ كيف لمن يريد ان لا ياتلف ، ولا  
ينغمس في المضايق ، ولا يصادم الأكتاف ، ان ينكمش  
عن الناس ، ويأوي الى معاهد نفسه ؟ ... ا



يقال في النباتات : برّي ، لخلاف البستاني ، ويقال  
في الحيوان : برّي ، لخلاف الأهلي — فيا ذوي الذوق  
البرّي من الناس : اين تراكم تنعزلون ، اليوم ، عن  
النّاس !!

### الفراشة البيضاء

تخطّ وتنهض ، ولا حطّت ولا نهضت ابل جآت  
في سياق الهواء ، تلتمس بطرف جناحها ورقة النبتة ،  
فلما احسّت الندادة ، من قريب ، اقلعت بالجناح .  
ويا لطف مقامها بين ورقتين ا تسائل ، حينئذ ،  
نفسك : أخضراً ، او بيضاً ؟ ونبات بروح ، او  
روح بنبات ؟ ...

### مهلل الريف

في يوم الدّجن ، في الجبل ، تعقد قوس الغمام قنطرتها ،  
وقد تدلّي الورق ، واكمام النور ، من عيدان الشجر ،

فتكاد تسمع جلبة الجلاجل ، تحت القنطرة ...

### امرأة ...

يارب امرأة في الريف ، كأن في سما وجهها ، من  
السأم والملااة ، لطخ غيم - شفاها الله ! اترها قد طالعت  
كل كتب الدنيا ؟ ...

فيا ليت لي ان أسوق الى بيتها الحمر الزرق ،  
والغزلان الحضر ، والأشجار التي ساقها من ذهب ،  
واوراقها من زمرد ، والجبال التي تخرج من قنينة ،  
والطعائن التي تترق من خرت الابر ، وتغد السير في  
بياض الميم ... مما لا يقع الآ في أخيلة النساء اعسى ان  
امسح ، بذلك ، همها ، فتدهن ، وتكتحل ، وتصفف  
شعرها ، وترجع حاجبيها ، وتعود ، هكذا ، الى سابق  
عهدا بالنعيم النسوي - وعفا الله عن الكتب ...

### انبار صغيرة

... اذا امسكت السماء ، في الريف ، لاسحابة ، ولا



عارض، ولا حركة لنسيم الريح، استمطروا بعنز سوداء،  
يُعكس رأسها، ويهز قرناها نحو الجهات الأربع، فيقع المطر.

فهذه السماء العالية يشجها ان ترى عنزة عطشى ا

— واذا عافت الغنم الماء، وورد الكباش، وحده،

تشاءموا بذلك على الغنم، وتوقعوا أنكد شي...

وعلى الحقيقة انه يكون من التكد، في الأيام، ان

بروى الكباش، دون الغنم...

— وبالشجرة المستوحدة يعقدون الحيطان، ويعلقون

عليها الجلاجل، ومقاطع الزجاج، عسى ان تساء، في

العيش، اعادتهم، وتسرا اصادقهم.

فالشجر، ايضاً، يفهم بلغة القرابين ا

— وربما عقد واحدهم بتلك الشجرة خيطاً لامرأته،

وغاب عنها زماناً. فان خاتته حل الحيط من نفسه.

أي عقدة بعقدة — وواحدة لواحدة كفاءاً ا

— واذا ارادوا صرف العاشق الواله عن هواه،

جاءوا بمنديل صاحبتة، فغمسوه في عين خراة، في

أصل الجبل، واستقبلوا به وجه الشمس.

فلا يلبث ذلك العاشق حتى يُجمل ، على توالي الأيام  
ودوران الشمس ، الى السلوان ، فينسى صاحبه ...  
— ويُصاب واحدهم بملّة في عينه فيجاء له بخزّ  
زُرق ، تُعلّق في عنقه ، فيشفى من شكاته .  
يشفى بالزُرقة ...



## اغالى ريفية

اغنية الابريق

على ذكرك الشهي ، تقوم القيامة في ضمير العطش ،  
وفي طلعتك اللؤلؤية ترقص الأحشا .  
تصب في الحلق — ياشلأل الشفاء ، ومدد الجوف ،  
وزغردة الانشراح — فينطفي الغليل ، وتثلج الجوانح .  
كان للماء المري سبيلاً الى النفس اليابسة |  
ولأنت — ايها الابريق — وعاء الانتعاش ، وانا  
الالتذاذ ، وقربة الاستطابة ، وجام القهقهة ، وزق البلور  
الذائب ، ودن البرد والسلام | ويطول بي القول ، جداً ،  
قبل ان تفيك بعض الحق ، هذه الكلمات المبلولة بمعاني  
نعوتك ...

ولقد اعرف ابريقاً ، في يد غضة ، بضّة ، أخذ من

لونها لونه، ومن شميمها شميمه، وجاء مكللاً بآء الزهر، او  
 بآء الورد، او بآء تلك اليد... يتصبب ويلتمع افاذا  
 أقبل، حسبت انه يهرول اليك، في حين انك انت  
 تهرول تاخذ بكفك عنقه، وعروته، وتكاد — لولا  
 اهل المجلس — تاخذ بفمك بلبنته، تمصها مصاً ١١  
 ويارب ابريق، سعت به اصابع ريفية — سالت  
 في رشح الماء اصابعها... فلما وقع الابريق في الأرض،  
 أخذ اهل الريف يورخون بعام كسره...

### اغنية المغزل

في صحن الدار المشتجر بالزرع، وبين المعاصم  
 والدمالج، والغلائل والقمصان الرقاق، يترنم المغزل  
 ترنمه ا

الله، الله، يا مغزل اما اطرب دورانك في الأنامل  
 الناعمة، ويا اضعاف طربك في الوقفة والحران.  
 ويا خيط المغزل: لا تنقطع، فبلاد الجبل احق  
 الديار بقميص العافية...



اغنية العيين

يا نعمة لا تتوقف ، ونعمة لا تنقطع : عجباً ليدك  
القادرة في الليف والحشب ، وفي مهجة الحجر ا  
ويا زجاجاً صفا ، وفضة سالت — لا غرّف ، ولا  
خوض ، بل قلّة ذات برّكة ، تفعل فعلها الأخضر في  
باب الحصب العميم — : في مدحك استبحرّ الرّيف ا

اغنية السنبلة

كرأس العظيم ، تنخفض من شاهق ا على ان  
حشوها جبوب الشّعب ، واسمها مرادف البرّكة .  
ويارب سنبلة تحفّق في الرّيح ، فكأنّ الخلمي في  
حرّكة ، والحريز في خمّش ... حتى اذا ولّت الرّيح ،  
وانقضى مهرجان رفع الرأس ، عادت السنبلة الى سابق  
عهدا بالدّعة .

فيارريح : اذهبي ، ويا سنبلة : اخفضي رأسك ، من  
ثقل البرّكة ، ولا حرج عليك ا ا

## اغنية نسيم الجبل

نسيم الريح هو — كما تعلم — نسيب الروح ، من  
 قديم اوليس من ينازع في هذا النسب الطيب . . . .  
 ان النسيم ، في بلاد الجبل ، هو العليل ، ابدأ . فاعجب  
 لابن عم الروح ، كيف يذكى الذهن ، وييسط الطبع ،  
 وكيف تصفو به كدورة النفس ، على ضعفه واعتلاله !!  
 وبعض الكلام يذهب في الريح . . . . أما الاشواق  
 والتحايا ، وبقية هذه الحمولة الباهظة ، فانها تذهب مع  
 النسيم ، يسير بها ملء فوجه . فاعجب له ، وهو القطار  
 اليومي ، الذي يسحب كل ذلك ، كيف لا يتباطأ ، ولا  
 يتورك ، ولا يكذب المثل : ( أخف من النسيم ) !!  
 ويا اهل الجبل : نسيم بلادكم لا يموت ، وان كان  
 عليلاً . . . .



## مقاطع تمثيلية

« تجري حوادثها في الرثيف »

الراديو

(فلاحان يتحدان) الأوّل — تَبَيَّنْتُ عَلَى اللَّهِ أَنْ  
تصبح علبه الراديو صندوق فصاحة ، وذلك بأن لا  
تنتفح الأعلى على اصوات طبيعِيَّة ، خالصة ، قد صفت  
من كل تدبُّر. فمن شلال يجلجل في بعض الوهاد ، الى  
صهريج ييلع الموج ، وشجرة تحفق ، ومطرة تصب ،  
وديك يصيح على الغيطان ...

الفلاح الآخر — امّا انا فاخالفك في هذا ، واتمنى  
ان تظلّ (علبة الصّياح...) ، هذه ، علبه صياح ، ابدأ ا أفلا  
يكفي الأدب ، من قديم ، مزاحمة التصوير والنقش  
والموسيقى ، حتى تجيئه ، انت ، اليوم ، بهذا المنافس  
الجديد ؟ فاذا جلست الى الراديو ، وغزت زرّه ،

واحسست ان كرة الارض تزلق من تحت اصابعك ،  
فاشكر الله ، عن القلم ، على ان لذّة الرّاديو تقف عند  
ذلك القدر — ليس إلا ...

### عصر الثرثرة الكبير

( الفلاحان نفسيهما ) الأوّل — يظهر ، ياجاز الخير ،  
ان قد اصبح بين الألفاظ والاشياء ، في هذا الوقت ،  
هوّة من البعاد ا على حين انه ينبغي ان تكون علاقة  
اللفظة بالشيء ، اشبه ما تكون بعلاقة القطعة من النّقد  
بقيمتها ، والآ وقع ( الافلاس اللفظي ) ، وصار الشيء  
الواحد في مقابل آحاد من الألفاظ ا وهذه الحال لها ، في  
ظني ، اسباب ودواعٍ . فنحن من زماننا ، في عصر الثرثرة  
الكبير ا جرائد ، ومسارح ، وتلفون ، وسينما تنطق ،  
ومجالس برلمان ، وفي الآخر : هذا الرّاديو ، الذي لا  
يكلّ لسانه . فاذا دامت الحال هكذا ، جاء ، عن قريب ،  
يوم يصبح فيه الأدب صناعة وضع اللفظ في  
مواضعه ا ا



الثاني — تتعب رأسك بهذه الهموم ، حيث  
تستطيع ان تطرحها عنك اذا تراه يهْمُك ، من هذا كله ،  
ما دام يقال لنبع الماء ، الذي في جوار بيتك : اوقيانوس  
محيط ، وانت ، حين تشاء ، ترجّ رجلك فيه الى  
الركبة ؟ ...

### نعمرة العلم ...

(فلاحان آخران) الأوّل — ان قلبي يالويني على  
اولئك البعداء ، سكان المدينة يقضون ايام الربيع بين  
الحيطان ، لا يرون نبتاً ، ولا ينشقون نسياً جديداً .  
الثاني — هوّن عليك ، يا فلان ، فخطبهم أيسر ممّا  
تحسب اذ انهم ، في مواسم العام ، تلقى اليهم الوف  
النسخ ، من تقاويم الحداثق ، وفيها من صور الغراس ،  
والحشائش ، وصغار الزهر ، ما لا تقدر ، انت ، ان  
تتهجّي اسمه العلمي . . .

## قصائد ريفية

غزل

شرطُ الأذة في السَّحَر، والقمر طالع، يطمس السُّرُج:  
ان يكون في النافذة اثنان : انت والآخرا اما ان  
تكون وحدك ، فذاك من ذهاب النوم على القمر— لذا  
تراني اسد نافذتي كل ليلة ...

مطلع قصيدة

( الى شجرة في طريق ... )

سقاك الله — كنت في الصبا امر من تحت اغصانك،  
فارتعش من اللذة ا فصرت امر ، اليوم ، فارتعش من  
البرد ا



### عنقود العنب

خذ بيدك ، في شهر ايلول ، عنقوداً ، من العنب ،  
وارفعه الى عينيك ، وانظر الى نور الشمس ، من خلال  
الشفوف ، وتأمل !! الالعبية الجوهرية أحلى ، ولا خزانة  
البخيل ايشي ، من عنقودا  
ففي عنقود ، واحد ، من العنب ما يملأ العين من  
السعادة ...

### شعر مدني

— يا عابر الشارع ، في كلّ صباح : الشارع كاسف  
البال ، ملتاغ ، فهو لا يعرف من حسنك الا نظرة  
عاجل ، يحث الخطى على الرصيف ...

### قصيدة في مدح المطر

طوفان الخير ، وهطل البركة : جعلت الريف  
أحلى من الحواشي في ديوان شاعر اندلسي ، مطبوع

اشهى الطبع ، بنفقة مستشرق من (لندن) . . . . . نقش  
البعاد ، ونقط الديابيح ، يامطر الفضة ا ا

دارة القمر تنبئ بمقدمك ، ومهاب الرياح تنفخ  
البشائر قبل وصولك ، وتفتح الأرض قلبها ، بين  
يديك ، لتلقي ، انت ، فيه سر الخصب ا وياحبذا فجأة  
الشؤبوب للنعجة ، عند سرادق الغابة ، وحبذا اغنية  
النقطة في طرف الورقة ، وعلى زجاج النافذة . . . . .

ويا ايها المطر : كأن صوتك من وقوع الدنانير في  
الأرض ، فهو الذي لا يُسمع الا عند الخير ا بات النسيم  
لا يتهدد — شفي من علته . . . . . واصبح الغصن خفيفاً ،  
لامعاً ، راقص الورق ، فهو اطرب من مزمار ا ولو ان  
تروي الجوانح يكون من الماء ، لخرج كل محترق القلب ،  
واله ، يكشف رأسه ، تعرضاً لهطلك .

وبعد هذا ، فقف عن الهطل ، يامطر — نجنا من

الطوفان . . . . .



## أغزال ريفية

(ملتقطه من فم شاعر ريفي دوار)

— الف رغيف ، عند خباز الضيعة يدخل النار ،  
والف رغيف يطلع منها . ولقد مررت البارحة بالخباز ،  
فلا والله ، ما رأيت رغيفاً قد احمر ، كخداك ، ولا رغيفاً  
قد احترق كقلبي ا

— يوم قفلت راجعاً من المرج ، وقد تركت وراءك  
ذلك البساط الأخضر ، الذي حرّكته قدماك ، نهضت  
زواياه الأربع تتلفت ، وتسال عنك ا

— إياك ان تذهب بعيداً عني ، فيلاد الجبل واسعة ا  
تضيع ، وهيهات ان يدلني اليك من يراك ، ولو اعطيتك  
هذه الدنيا ا

— وإياك ان تخرج في الشمس ، اخاف على ظلك  
ان يقع في الأرض ا

— وإياك ان تقف ، في حقل جارنا ، الى جانب هذه  
السروة العالية ، مخافة أن يدعي انك من شجراته ا

## مطالعات ريفية

خرير الماء قصيدة في المديح ، ليس وراءها مديح  
مرقص ! فلممرك ما التقت الشفاء على قصيد أحلى مما  
يتنغم به الماء في خريزه ، مادحاً نفسه ، شادياً بفضله ،  
وجوده ، على جذور الشجر ، وذرات التراب ۱۱

ففي جيل الجحود ، هذا ، وقد بطلت عبادات  
الناس للسائل الحي ... خذ بكفك غرفة من الماء ،  
وانظر وتأمل — الله ، الله ، في ذلك الإله القديم اكم  
جهد في جوف الأرض ، وكم اضطرب في سفر ، لا  
يفتر ، ولا يهد له سعي ، كما يقفز العصفور من غصن  
الى غصن ، وهو في عافية وسعادة ...

والحمد لله ا فان النهر يفادر حدود قريتنا ، ولا  
ينقلب الى وراء ... فلقد خفن اليه ، من الصبح ، وهو



في بعض عطفاته ، عليهن القمصان الرقاق التي لا توارى  
كنوز الأبدان ، وغسلن فيه الثياب البيض والأرجل  
البيض ، وقلن في هذا الجار كذا وكذا ، وقلن في تلك  
الجاراة كيت وكيت ، وذهب النهر ، من هنالك ،  
بألف قصة ...

وأما القرية ذات البئر الفريدة ، فإن أسرارها  
وأخبارها تُدفن آمن دفن ا

وعلى باب الطّاحون لا بدّ للدّرب من ان تتوقّف  
عن المضي : فهناك موسيقى الرّحى ، وهناك الشّميم  
المنعش ، الذي يعبق من الباب ، فتحوم الطير على طيب  
الرائحة ، وهي لا تعرف اين تدور ( الدوائر ) على الحبّ  
المشتهى ...

وياطلما قلت ، في نفسك ، بين يدي الأزهير الرّيفيّة ،

التي لا تبرح مكانها ، ولا تعرف انت اسماءها : جادها  
الله — او الغيث ا فهي اشبه ما تكون بالجمال المضمون  
به على غير أهله !

اماً الذي جاءها ، وهي بمكانها من تلك المنازل  
المنفردة ، فقد قرّت عينه ، وطاب فؤاده ...

وعلى الحقيقة انّ عصر المداواة بالزهر كان عصراً  
شهيماً ا كان بالأرج يُداوى ، وبالملاحة يُطبّب ... وكان  
صاحب العلة ، من الناس ، يقبل على الطبيعة ، وهي  
قائمة على ساقها ، لا كما نفعل ، نحن ، اليوم ، اذ هي  
طحين في علبه ، او عجين في حُقّ ، او سائل في  
قنينة ا

عصر (زهريّ) ، سقاه الله ... بُدأتنا به عصراً  
كيمياوياً ، تستقبلك فيه روائح العلة على باب  
الصيدانية ا



ويا ليت شعري اكم في الناس من يجب الزهر لذاته ،  
ولطيب عنصره ، ولطف طبعه ، ولبلذله النفس دون  
مكافأة ولا قرص ، فيسقيه من رحمة ، ويتعمده من  
رفق ، لا لكونه تُران به الدور ، ويُفرش على الموائد ،  
ويُدش على السرر ...

واما الحشرات الصغيرة ، التي تحتل باطن الأرض ،  
ولا تطلع من مدايبها المظلمة الا في حنية حائط ، او في  
شق شجرة ، فهي تنعم ، ونحدها ، بعالم الأصول  
الخفي ا — تريد خفية ، ويريد غيرها علانية ... اما  
هذا الانسان ، المتجول في ظهر الارض ، فهو لا ينحدر  
الى هاتيك المنازل ، الا وقد عاد ميتاً ، لا يستطيع  
الحراك ا

وان الشجرة التي تصطفق في الريح — وقد انقطع

عارض المطر، ورُفعت النّقطة، وعادت الأرض، بآثار  
الرّبيع، خضراء — لا بدّ لجذورها من ان تتحرّك، وان  
تنشر الطّراة في باطن الثرى ...

وهكذا حشرات الأرض، يكون لها، وهي في  
منازلها العميقة، ان تجد النّعيم على روض مقلوب ا

والإوزة ا لله ما اطرب اصواتها النّحاسية على  
الماء. — فقل في ذلك: ابواق عسكرية ينفخ فيها من  
لا يعرف النّعم ا

ففي الرّيف ابواق للمسكر، ولا عسكر،  
والحمد لله ...

وما عسى ان يقال في خيطة القرية ١٩ وهي التي  
تلبس العروس آية العرس بيضاء، او زرقاء، او



حمرآء ، او لآزوردية ا  
فكان بيتها العامر بيت قوس قزح ...

وفي الشجر الذي التقى ونور الشمس ، بجوار  
الرأبية ، اسعد ملتقى — وقد جلست ، انت ، من ذلك ،  
منظر العين ، وكررت النظر في حقائق الخصرة — تحس  
روح الريف ا فجمال يملكه الله ، وحده ، ودوام لا  
ينقطع ، وخير لا يفنى ...

ثم تنظر حولك ، فكاننا اصابع خفية قد اومات  
اليك ، تريد منك ، في حضرة الجمال ، أن تتحرك ...  
فلا تصدق الا اصابع تومي اليك ، ولا احد يطلب منك  
أن ترقص من فرط الطرب . .

## بضاعة ريفية

عندنا ، في بلاد الجبل : العنّاب ، وهو يواقيت  
الفلاحين — زادهم الله عنّاباً !  
وعندنا : الخرنوب ، وكأنه (قرون ليلى) في قصيدة  
(المجنون) ...

والجوز واللوز ، وهما حديث الاسنان ، كما تلاقى .  
وعندنا : السّوسن الابيض ، والسّوسن الاصفر ،  
والسّوسن المشربّ بحمرة — والحمد لله الذي لم يجعل منه  
أخضر ، مخافة ان يُرعى ...

وعندنا : الشّقائِق (الصادقة الحمّرة) . ولا يعلم احد  
منّ من الطّعام قد تخش ، من قديم ، خدودها ا على انّ  
الروايات تذكر ان (النعمان) حمى منابتها ، فكانت  
لا تُقطف الاّ له — وانها لذلك أضيفت اليه .

والقصب ، وهو الذي به نُكتب حلاوات الرسائل



في الفرقة ، وتنفخ فيه انعام الصّابة في كلّ وإدا  
 وعندنا : الثعلب ، ذوالرّوغان والكيس ، وهو  
 الذي لا يستطيع الديك ان يدفعه عن الدجاج . فاذا  
 انقضت المعركة ، وقد طار الف ريشة . . . عاد الديك  
 ينفذ عرفه ، ويجرّ الوشي المحبّر — فالديك ديك ابدأ ا  
 والطاووس ، المزخرف المنقوش — وهو الذي  
 يكتب بواو واحدة ، كرامة لسواد عينيه .

وعندنا : كراز الراعي — وهو أقرن لا أجم ،  
 لكنّه لا يشتغل بالنطاح ، بل يحمل خرج الراعي ،  
 ويتخايل من تحته ، ويرقص رجليه ، فكأنه يحمل خلعة  
 السلطان اوالكرّاز ليس كالراعي في معرفة أيام النّجع ،  
 وحر كات الغيم ، امّا في باب المراعي ومساقط الغيوث ،  
 فلا ينتطح ، في انه الفحل المقدّم ، عنزان اوالكرّاز  
 لا يكبر في عينك ، ولا تثبت مهابته في صدرك ، الا  
 وهو باطش جانب الزّرب . ومن النصيحة لك ، يومئذ ،  
 ان لا تقرب حريمه . . .

وعندنا : الغراب ، وهو الأسود الذي يطيف

بالدور المعطلة يتلمس ، وينعب ، والذي اشتق من اسمه :  
الغربة ، والاعتراب ، والغريب ... فكيف يكون لقلبك  
قرار على صياحه ا

وعصفور التين ، ذو الصغر والهوان ، ولكنّه ينقر  
كلّ تينة ، ويغادرها ممزقة الجلباب ، هيهات ان تنضم  
بعد الفتح .

والورد ، وهو الذي حرّمه ( المتوكّل ) العباسي  
على الناس ، وقصره على نفسه . جاء في ( تأهيل الغريب ) :  
« وكان يقول : انا ملك السلاطين ، والورد ملك  
الرياحين ، فكلُّ منّا احقّ بصاحبه » . وفي ( حلبة  
الكميت ) : « فكان لا يرى الورد الا في مجلسه ،  
وكان ، ايام الورد ، لا يلبس الا الثياب الموردة ، ويفرش  
الفرش الموردة ، ويورد جميع الآلات » . وفي ( مفتاح  
الذهب ) : « ومن قوله ، مخاطباً الورد :

عارٌ عليّ بان يشمّك ساقطٌ ،

او أن تراك نواظر البخلاء »



وفي ( نزهة الأنام ) : « ولهذا قال علي بن الجهم في  
رثائه : وصار الورد بعدك في انتهاب . . . » .  
هذا شأن الورد عند الملوك والعلية ، امأ عند  
السواد ، فقد جاء في اخبار ( المأمون ) انه رفع اليه  
حائك ، كان يعمل سنته ، كلبها ، لا ينقطع في نيروز ، ولا  
جمعة ، فاذا ظهر الورد طوى عمله ا وان ( المأمون ) لم  
يحقّر الرجل ، بل ساعده على هذه المروءة ( الوردية ) ،  
وأجرى عليه .

ولا بأس على الورد ، بعد هذا ، حين ينفرد ( ابن  
الرومي ) بذمه وتبجينه ، وبتفضيل النرجس عليه ،  
فللورد اسوة في ( البحري ) ، وقد اوجب صاحبنا قطع  
مقوله ا

وعندنا : البنفسج ، وهو ، في اللون ، اخو  
الفيروزج — لا الفيروز ( أي بزيادة الجيم لتزداد المشابهة  
حتى في الحروف ) .

وعندنا : الاقحوان — ويارب اقحوانة هي في القد  
والغلالة ، والغنج ، وطيب النفس ، أشبه بامرأة منها

بزهرة... وفي (تذكرة الشعرائي) ، عن (ابن عباس —  
رضي الله عنهما) ، انه قال : ( أهبط آدم من الجنة  
بأقحوانة ) ١

والخوخ ، ذو قميص اللأذ — وهو القميص الذي  
خرج فيه راهب (دير عبدون) في قصيدة (ابن المعتز)  
الديرائية :

وجآني في قميص اللأذ ، مستتراً ،

يستعجل الخطو ، من خوف ، ومن حذرا

— وفي رواية من لا يستكثر الخاءات في هذا  
المصراع ، حباً منه لأحرف الخوخ... — : «ومن خفر» .  
واللأذة ، كما تعلم : ثوب حرير أحمر ، نهاية في  
لطف الخيط .

وعندنا : المشمش ، وهو الذي يطاوعك قلبك  
في العض عليه ، بالرغم من الذوبان والحلاوة ، والذي  
تعرف ، في أكله ، كيف يكون لعق الأصابع ا  
والمشمش فتنة العلماء ا فلقد كان القضاة وشيوخ  
العلم ، اذا جاء زمن المشمش ، انقطعوا عن المجالس .



قال في ( الخزانة ) : « وأول من احدث منهم بطالة  
 الدروس ، في زمن المشمش ، القاضي نجم الدين بن سني  
 الدولة ، بعد ان ولأه الملك الظاهر ، بيبرس ، قضاء  
 دمشق وفي ( البداية والنهاية ) ( لابن كثير ) ، رواية  
 ( الطبراني ) ، « انه كان له بستان بارض السهم ، وكان  
 يشق عليه مفارقة المشمش ، والتزول الى المدارس ،  
 فبطل الناس هذه الايام ، واتبعوه في ذلك . . . »  
 الى آخره .

وعندنا : القراصيا ( ذات العلاقة الخضراء ) وهي  
 تكاد تبتلع بالنوى ، لولا احتجاج الالهة ١١ وبجسب  
 القراصيا انهم في ( الأندلس ) كانوا يقولون لها ، على  
 ما في ( التزهة ) : « حب الملوك » .

والكريز ، وهو الذي يكاد يثب ، من نفسه ، الى  
 فك ا

والرمان ، وهو المخزن الأحمر ، للحب الأحمر ا  
 فيؤكل باليد ، وبالعين . . . وفي ( المزهرة ) ، في الكلام

على انه اذا سُئِلَ العربيُّ ، او الشَّيْخُ ، عن معنى لفظ ،  
فاجاب بالفعل ، لا بالقول ، يكفي : « قال الزجاجي » ، في  
شرح أدب الكاتب : سُئِلَ رؤبة عن الشَّنْبِ — وهو  
البرْدُ والعذوبة — فاراهم حبة رمان . . .

وعندنا : عرائش العنب ، التي أخذ التَّعْرِيشُ ، في  
اللُّغَةِ — وهو الرِّفْعَةُ — منها ، قال في الآية : « وهو  
الذي انشأ جنات معروشات . . . واطرف ان العرش في  
كتب اهل ( التفسير ) ارفع من السماء ، وان ( عبد الله  
محمد بن كرام ) ، المعروف بالمشيه ، يقول : ان الله تعالى  
استقرَّ على العرش — لم يقل على السماء . وهذا كله  
مردود الى فضل العنب ، وارتفاع عريشه ا

فحصرم ، اذن ، في عين من لا يحب العنب . . .  
وعندنا : الزبيب ، جفيف العنب ( وربما استعمل في  
كتب اللُّغَةِ لما سُطِحَ من التين ، فنشف ، قرناً لجفيف  
التين بجفيف العنب ، وترغيباً فيه ) — يؤكل بقشره  
وعجمه ، ولا يلتفت الى التلذيع اليسير ، الذي يكون له



في الفم ، حباً لذكرى العنب ، وسالف زمنه ا  
والدبس ( وهو ماء العنب ) وقد جمد ، نكايَةً في  
العسل ا

والسفرجل ( آية الصفرة في الشمّ والمذاق  
وانتدوير ) — وهو الذي لا يتذلل حلاوته ، بل يجود بها  
على قدر ، فيغصن آكله من نزاع النفس الى الباقي ...  
وبحسب السفرجل ان رائحته تختلط ، في انف  
المتشمّ ، برائحة الخمر ا قال الشاعر ( وهو نقل — البحر  
الرائق — ) ما مَحَا الى قول ( ابن مسعود ) ، رضي الله  
عنه ، في قضية حدّ الشّراب : « تلتلوه ومزيمزوه ،  
واستنكبهوه » ، الى آخر ما هنالك :

يقولون لي : انكه ، شربت مدامة ،

فقلت لهم : لا ، بل أكلت السفرجلا ...

وعندنا : البطيخ ، من مخطّط وغير مخطّط . قال في  
( النزّهة ) — ينقل عن ( معاياة العقل في معاناة  
النقل ) — : « البطيخ مشتق من التبّطخ ، واسترخاء الجلد ،

ولين الجسم تحت يد الغامز. ويقال فيه ايضاً: طَبِيخ. وهي لغة فصيحة ، لأنه من الطَّبِخ ، وهو النَّضِج ، الذي لا يتهيأ له التماسك . وفي ( الأساس ) : « نعم حاطوم الطعام : البَطِيخ » — اي نعم هاضوم الطعام . فلقد جاء في ( اللسان ) : « ويقال للهاضوم : حاطوم » . وفي ( المطول على الحديث ) : ان كلمة (نعم حاطوم الطعام) حديثية ، باسناد حسن . والذي عندنا ، في ذلك ، ان حديث البَطِيخ والرَّطْب يمهّد لصحتهما . ففي ( جامع الاصول ) ، عن ( عائشة ) — وقد اخرجها ( ابو داود ) ، وهذا لفظه — قالت : « كان يأكل البَطِيخ بالرَّطْب ، ويقول : نكسر حرّ هذا بيزد هذا ، ويزد هذا بجرّ هذا » . وعندنا : الصعتر ، ذو النَّفحة ، والنَّعناع الذي يقطع الطريق الى القلب ، والباقلاء الذي يفتح سدد النَّفس ، ويفتق شهوة الطَّعام — وهو الذي كانوا يقولون في النداء عليه ، في زمن ( الزمخشري ) ، كما جاء في ( الأساس ) : « شرقُ الغداة طري » ، أي قطف الغداة .



وعندنا : الباذنجان — وهو الذي تصدق عليه  
 (الواثق) بعينه ، جميعاً ... فقد جاء في (العقد الفريد)  
 ان (الواثق) كان مفتوناً بحب الباذنجان ا كان يأكل ، في  
 أكلة واحدة ، اربعين باذنجانة ، فأوصى اليه أبوه ،  
 وكان ولي عهده : ويك امتي رأيت خليفة أعمي ؟  
 فقال للرّسول : اعلم امير المؤمنين اني تصدقت بعيني ،  
 جميعاً ، على الباذنجان» ...

وعندنا : التّقاح ، الذي يُخطُّ عليه بالظفر الف  
 علامة ، والف ميعاد ا

وهو الطّيب الرّوح ا حتى لقد احب ( ابو علي  
 الفارسي ) ، على ما في (الخزانة) ، ان يجمع له بين طيب  
 الاسم وطيب الجسم ، ولو بالقلب والإبدال ا مخالفاً  
 في ذلك اهل اللّغة . قال في ( الخزانة ) ، نقلاً عن ( سمر  
 السّمار ) ، في ليالي الأقيار ، في اوصاف ثمار سائر الأشجار ،  
 ذوات الفواكه والثمار ) : « فقال — : اخطأ من جعل  
 التّاء اصلية . وبابه ان يكون في ( ف و ح ) . فيكون  
 اصله من الفوح ، بضمّ الفاء ، وهي الرائحة الطّيبة .

فقلبت فإوه عينا وعينه فاء، فصار عَفَالاً وُفَاحاً، فأبدوا  
من الواو تاءً، فقالوا: تفأح...»

وعندنا: الخيار الذي لا تُقوَس واحده، كما تُقوَس  
واحده القشأ — على انه مضرب المشل في النعومة  
والطراوة وهو، في باب التبريد والتطفئة: حاجة، وفي  
باب القضم والحضم: لذة.

والقشأ، وهو الأهلة الخضرة، التي تنعطف وتنحني  
في يدك.

والرشاد، ذو الحرافة (بل ان قولك: شيء حريف،  
مأخوذ من الحرف، الذي هو حب الرشاد بعينه ١)،  
فكانه يشحذ اللسان لمناعم المائدة.

والثوث، بالشأ، (الثوت الأحمر): وهو سهولة  
وزلاقة في فم الأشغ، بالشأ، وفي فك ايضاً...

والعنب الأسود، الذي تأكله وتتلذذ به، دون  
ان تعرف اسمه في العربي... وهو الوين...

والعسلوج، وهو ما لان واخضر من عروق الكرم،  
اول ما ينبت — فوارحمتا لهذا المسمى من هذا الاسم ا



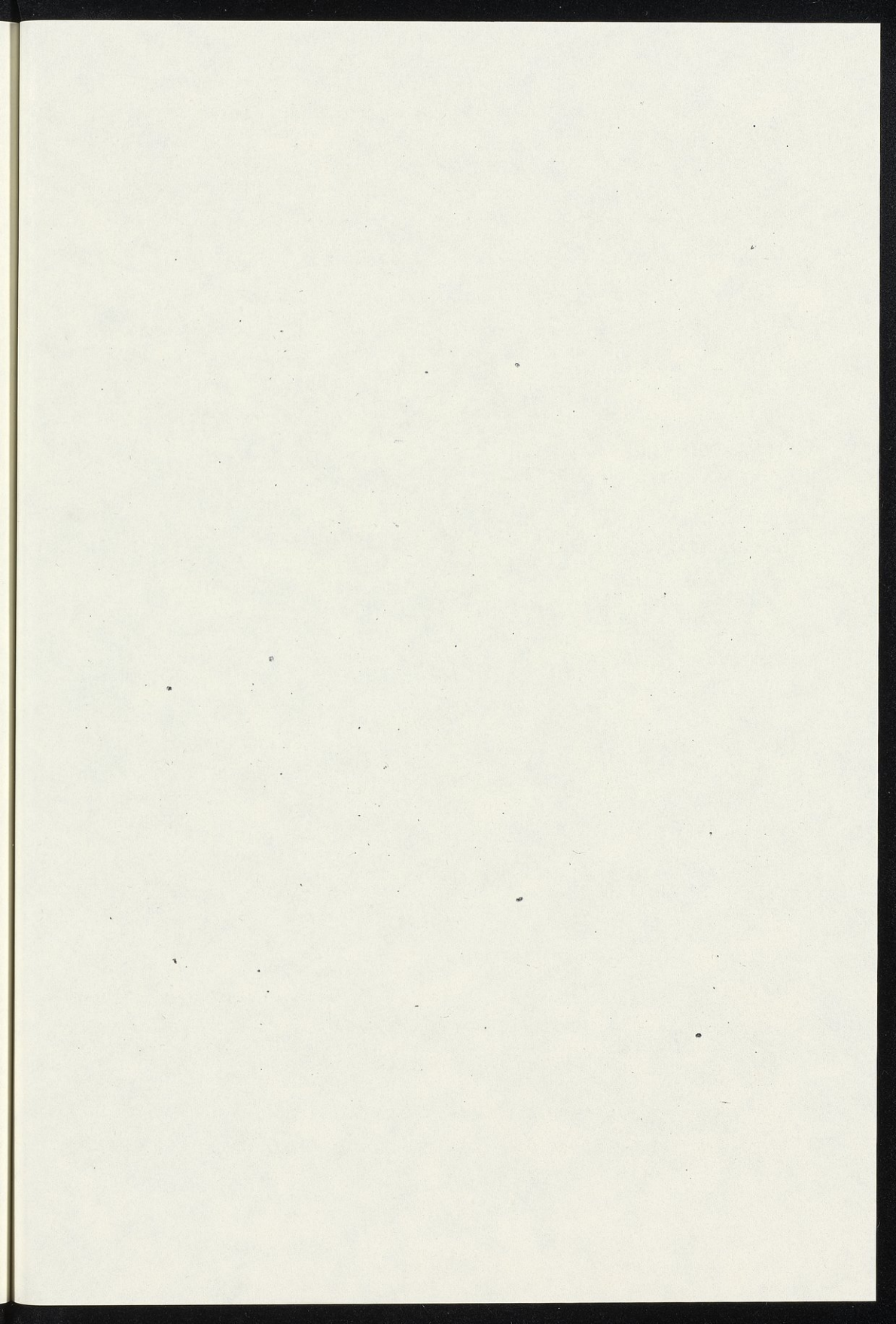
والسَّمَّاق الأَحْمَر الذي يزدحم بخانق وقراطق ،  
والشَّيْح الذي يذكرك ( ابن الفارض ) ، والزعرور الذي  
يقتحم الشوك في سبيل حبة منه ...

وتمَّ أشياء وأشياء عندنا ، في الجبل ، ليس شيء في  
الدنيا ألدَّ من عدها ، ولا أحلى ! ولكنَّ الصَّحائف ،  
هاهنا ، قليلة ، والعدَّ طويل .

# الكتاب الثاني

بذور ريفية (الزّرع في المدينة) - وامثال ريفية





## بنور ريفية

(الزرع في المدينة)

### قضية اللفظ والمعنى

تسأل الزهرة الشذا — : « ما بالك بعيداً عني ؟ » ،  
فيقول لها : « انا في قلبك ا » ...

في الفن لا يُمسح القلم من شيء ، فلو رُدَّ (شكسبير)  
الى الحياة ، لاستأنف النَّظْرَ في ( هملت ) ، نفسها ا

### العموض

طريق السهولة ، في الأدب ، تؤدِّي الى الوضوح .  
— أي الى أَوْخَمِ العواقب ا



### شعر الرصافي

صاحبنا (الرّصافي) يلبس الكوفيّة والعقال، ويشرب  
(الويسكي) ...

### توزيع القسط بين المعنى والمبنى

يتعب اللفظ حيث يستريح المعنى .

انت وحدك ، ايها المبتدع ، لا تقلد احداً !

قضية الالهام ، في الفن ، اخت قضية الخوارق ،

في الديانة .

كانت الواقعة ، في الجيل الماضي ، حاميةً مستحرةً ،  
حقاً : ( شوقي ) يريد ان يجعل النعم فكرةً ، و ( خليل  
مطران ) يريد ان يجعل الفكرة نغماً . . . .

جماعة ( القاهرة ) يظنون ان الصدق في الفن ،  
معناه قول الحقيقة !

يُقال للتقليد أعمى ، لأنه لا يرى ان الابتداع أيسر  
من الاتباع . . . .

الصنيع الفني تارة يقوم بجملته ، لا بتفاريقه ، وتارة  
بتفاريقه ، لا بجملته — وهذا اسمه : سر الفن !



### مفط النصاب

قضية التوفيق بين الجملة والتفاصيل هي شغل  
(فاليري) الشاغل. لذلك يقال في اوروبه ، اليوم ، ان  
(جيرالدي) أوضح من (فاليري) !

### النقد

— معظم النقد يقوم على الذوق ، لذلك لا يُنتفع  
بالنقد !

— ليست الجرأة من لزوم النقد ، فالتنقد ، في الجملة ،  
تدليل على ذوق للنقاد ، لا علاقة له باذواق الآخرين .  
اما قضية (المقاييس) فهي من أفكه ما يكون !!

فنُّ القصة ، عندنا في العربية ، مسكين جداً : فهو  
لا يزال ينظر الى الحوادث .

## مادة الورد

( فرجيل ) - عجباً ( لفرجيل ) وجملة شأنه : انه كان فلاحاً لاتينياً ، يعرف كيف يستلقي على ظهره في اليوم الشامس ، والصَّحو الأزرق ، ثم يأخذ في عدّ أسماء النجوم ، وسرد الحرافات القديمة ، عن مسير الغمام ، وعدّان الهواء ، وفي قصّ حكايات الحبّ ، عن رعيان الضواحي بين ( آند ) و ( مانتو ) - فعجباً له ، وقصاراه عند ذلك ، كيف يغدو ، في الشعر ، نادرة الفلك !

( فرجيل ) ايضاً - وانّ الذين ترجموا ( لفرجيل ) ، وأخرجوا تلك السيرة الوادعة ، قد أجمعوا على انه كان ، في الصبا الأوّل ، راعياً للضأن ، يهبط بالقطيع اعماق الحراج ، من ريف ( آند ) ، أو يدور به حفاف الأودية ، نانخلاً له في الشّبابة ، مغنياً ، راقصاً ، خفيف القدم ، وانه ظلّ ، طوال عمره ، يتغنّى بالشطوط ، والخلجان ، وسلاسل الجبال - على طول الخطّ الايطالي الأخضر ، وانّ ذلك القلم ، الذي كان في يده ، على فقدان الثقوب السبعة ،



وحزّ النَّعم ، لم يكن الآ تلك القصبة ، بعينها ، لا أقلّ  
ولا أكثر !

### مفاوطينة ...

( في مخاطبة الأمر الصعب )

يا خاتماً لا يخرج من اصبع ، وقفلاً لا يفتح ،  
وبكرة لا تدور ، وحبللاً لا يجري ، ووتراً لا ينسرح ،  
وغزلاً لا يتخلص ، وعوداً لا يستقيم ... الى آخره !

### قصة الببل

كان في بعض الحدائق ببل ينبري في موسم  
الصباح على الربيع ، فلا يزال بالحديقة حتى ترتج اعطافها  
من الفصاحة الجآآت اليه اشجار الحديقة ، ذات مرة ،  
وقالت له :

— تقضي العمر في التغني لنا ا جئنا ، الآن ، نشكر  
لك هذا العناء الطويل ، وندعو الله ان يحفظ حنجرتك

من البحة ...

فلما كان الربيع القابل ، انقطع البليل عن الغناء ،  
 وفرغ قلب الحديقة من الهوى ، في غياب الفصاحة ا  
 ( قال فؤاد افندي ) :

— هذا ، في لغة البلابل ، اسمه: التَّغْرِيد للتَّغْرِيد ...

### الادب والطبيعة

( الآتسة ميرايي ... ) — ( ميرايي ) في ظني ، وهي  
 الغادة التي اطلق ( ميسترال ) اسمها على قصيدته الكبرى  
 لم تكن بنت ذلك الفلاح ( رامون ) ، من مقاطعة  
 ( كروف ) ، كما يزعمها ، بل هي واحدة من بنات ( ميان )  
 اللاتي مررن تحت شبابيك بيته ، ايام العناقيد والقطف ،  
 الف مرة ، يتهادين بالغلائل المذيلة ، والعقد الزرق الغارزة  
 في ضفائر الشعر ، كأجنحة الخمام فنقل ( ميسترال ) ،  
 الى قصيدته ، واحدة من تلك ( الميانيات ) ، بغاللتها ،  
 وعقدتها . من الطريق الى الصحيفة ا — أي من الطبيعة  
 الى الأدب . وعاشت ( ميرايي ) في القصيدة ، كما لو



كانت في بيت ابيها ١١  
وما على (ميسرال) ، بعد ذلك ، اذ يشك في  
عقدتها الزرقاء ، طرفاً من قبّعتة (البروفنسية) ، المتطاولة  
الأطراف ، لتغدو (ميراي) وهي من بنات فكره  
ايضاً ...

### الوردة الحمراء

(رؤوس اقلام لكتابة قصة اسمها : الوردة الحمراء) .  
وهي قصة نويت أن اكتبها على الحب الذي يكمل  
بالموت ، واجعلها هدية عربية الى روح راوية الانكليز  
(اوسكار وايلد) ، صاحب (الببليل والوردة) ، التي  
كتبها على بطلان الحب ، وكونه ، من اساسه ، حمقاً  
وغباوة . واني لا اسوق اسم (وايلد) ، في صدر هذه  
القصة ، الا رغبة التّشريف لها بذكر اسمه العظيم ،  
وقصد التلميح الى ان هذا الادب العربي لا يضيق —  
والحمد لله — عن الالتفات الى هذه الطرائق ، في باي  
المغزى والتعبير ، عند كتاب اوروثة .

وتدور نقطة الكلام ، في القصة ، على تحطيم القلب في الحب ، ليس إلا . فاقف من ذلك الموضوع الكبير بالعتبة اذ ان المجال لا يقتضي اكثر من هذا ، فلا اعرج على عظة ، ولا اقف عند مغزى ، ولا اعدل الى قضية ، من القضايا ، في علم النفس - كما يتسارع الى ذهن القارئ ، من انه لا بد لي أن اطرق الى ذلك بأدنى سبب ... بل اسوق الحوادث سوقاً خالياً عن أية ملاحظة . فلست ، هاهنا ، في عرض الكلام على نوع من الحب دون نوع ، ولا على هبوط الطبع في بعض تلك الانواع ، وانتكاس الذهن فيه ، ولا على موضعه من المشاكلة ، ومكانه من الغريزة ، والعادة ، ولا على علاقته بالجمال ، واتصاله بالشهوة ، وتذرعه الى اللذة بمختلف الذرائع - فان هذه الدقائق العلمية أحق أن تُفرد بالتأليف ، لا ان يؤتى بها في سياق قصة تقوم على تفتت القلب ، في بعض وساوسه في الجمال .

وان للقارئ ، بعد هذا ، ان يفتل لنفسه ، في تضاعيف القصة ، ما يحلو له من حقيقة يتوضحها ، او عبرة يستبينها .



فانَّ الأمر ، في كلِّ ذلك ، مو كول اليه ، ولا دخل فيه لهذا الكاتب . ولا يكون للقارى ، طبعاً ، في هذه الحوادث ، أن يكلف صاحبه الكاتب اثبات صحَّتها ، بل يكون عليه كلما حكَّ في صدره منها شيء ، أن يتذكَّر انَّ الصدق ، في الفنِّ ، صدقان : واحد لا يُستطاع تصديقه ، وآخر لا يُستطاع تكذيبه !! (وهاهنا سأضرع الى القارى أن يصدَّقني في هذا ... ) .

وسأذكر في مبدأ القصة انَّ حوادثها وقعت قبل عهد الناس بالورد الأحمر ا يوم لم يكن لهم ، بعد ، إلا ورد ابيض ، لا لون له ، او ورد اصفر ، في لون شحوب العشق ... وانَّ الدنيا ، على الحقيقة ، مدينة لببلب القصة ، وهو الذي ضرج الورد ، وزين بالخجل الأحمر حواشي الحدائق ، واصبح ، بفضلله ، في كلِّ وادٍ ، أرج ، وملاحة ، واوراق تقلق من ايسر اللمس ا وانه يكون من العبث ان يسألنا القارى أن نسمي له ذلك البلبب الكريم ، الذي جاد على الناس بنعمة الورد الأحمر ، فلا هذه الكتب ، التي بين ايدينا ، تشيد باسمه ، ولا اهل الأخبار

يشدون بذكره . وأضيف الى ذلك انها تكون عجيبة من العجب ، اذ يُطنطن في الخافقين باسم الذي أتحف الناس بزهرة الحياء... ثم اذكر ان كل ما وصل اليها ، من صفة جاله ، انه كان يقيم باحدى الحدائق البعيدة ، وانه كان حلو الريش ، حلو الصوت والألفة في نادي البلابل . (وسأرجو من القارئ ، في هذا الموضوع ، أن لا يصدق انه كان بصاحبنا انفراد في خصلة ، أو تميز في طبع — فهو كلام لا يرتكز على سند ، بل هو من محدثات جماعة ، لا يستطيعون القصص ، إلا اذا اقتربت بخبر عجيب ) .

ثم أخذ في سرد القصة ، فأذكر انه في بعض ليالي القمر آ ، اذ تمطر السماء فضة سماوية ، وترقص الحدائق من غنى وسعادة ، خرج بلبل القصة الى شجرة العناب ، على عادته ، وأقام يتطلع ، من خلال الورق ... (ويا للعناب من ثمر أحمر ، يغدو تحت المنقار الأحمر ، فاذا هو ، في اللون ، والتدوير ، واللطافة ، قد خلق ليكون مادة للبلبل اونهايك بجلاوته ، وكل نقرة منها بمذاق ) . ألا



انّ البلبل كان في تلك الليلة مشغول القلب عن حبوب  
الياقوت ... ومن أحقّ من البلبل ، في دولة القمر ،  
باهتزاز الالمعية ، ونشاط الضلوع ؟! وانه بينما كان ينظر  
الى جوار الشجرة ، يتفقد حال الزهر في وقوع الندى ، اذا  
حركة ، في زاوية من الحديقة لم يدر كها الضوء ، عقبها  
هتاف بلبل ، فينصت لذلك ، ويدير عينيه ناحية الزاوية ،  
فينقطع الهتاف .

وانّ البلابل أجناس ، والتغريد ألسن ، كلّ جنس  
بلسان . وانّ الحدائق أوطان ، كلّ حديقة بجماعة . وانّ  
البلبل الذي هتف هتافه ، في الزاوية ، كان غريب  
الرّيش عن الحديقة ، الآن صوته الجيب قد أقام صاحبنا ،  
على الغصن ، وأقعده ، بذلك السائح الرقيق ، الذي يسيل  
في السّمع ويصبّ في الرّوح — وإن اعوزته الترجمة ! وانه  
في حبّ البلابل ، كما هي الحال في حبّ البشر : على  
القلب المعولّ ! والقلب يفهم من غمزة حاجب ، فكيف  
ظنك بصياح ومناداة ؟ ...

ثمّ يكون ، في القصة ، انّ بلبل العنّابة يردّ على بلبل

الزاوية بأعذب ما في حلقه من نغمات الهوى . ولست ،  
 انا ، من الذين وقفوا على لغات البلابل ، وأحاطوا بهاتيك  
 المناغاة ، التي ترقص لها الاغصان ، ويخفق الورق ،  
 ليكون للقارئ أن يطالبني بحكاية ما بثه بلبل العنابة ،  
 في جوابه ، من تلق بالانس ، وبوح بالهوى ، وتشوق الى  
 الاتصال ، الى آخر هذه الأغنية ... الا انه لا بد لي من  
 أن أذكر ، هاهنا ، في القصة — وذلك شفاءً لغلة القارئ —  
 ان البلبل قال لصاحبه ، في جملة ما تنغم به : ان الريش  
 في جناحيه رجف من هوى ، وان منقاره طري من رقة ،  
 وحنجرته تفتحت لألف اغنية ، وان طرب الدنيا حمل  
 اليه في صيحة ، وحلاها سبقت اليه ، على جناح ... ثم  
 يصمت بلبل الزاوية ، في مكانه ، كأنه لا يفهم بهذه  
 اللغة ، التي رجّت ، من فصاحتها ، شجرة العناب . فيخطر  
 للبلبل العاشق انه قد عرج ، في بعض مواسم الخضرة ،  
 على مرج بعيد ، في بعض الأطراف ، وحفظ عن بلابله  
 لفظات ، من لغتها ، لا تزال منطبعة في حنجرته ، وان  
 صاحبه ، هذا ، قد يكون من ذلك المرج ، فيخاطبه ،



في تلك اللفظات القليلة ، ببعض مراده ، مؤلفاً بينها بزفرة من هنا ، وزفرة من هنا — علّ أن يفصح ، بتمثيله للمعاني ، عمّا قد عجز عن تأديته باللفظ ! ولكن ذلك ، كلّه ، يكون عبثاً . فلبيل الزاوية ، في ما يجب أن يظهر من سياق الكلام ، لا يفهم حتى من الزفرات ...

فينطلق المتيمّ يردّد له من (النوى) — وهي النعمة التي يعرفها كل من ابتلي بحسن ... فلا يكون عليّ في القصة ، همّ التعريف الموسيقيّ بها ! — قصيدة على الغزل ، ذات غصص ، ولوعات ، وحرق ، وقد أخذها ، في أحد الغدران المجاورة ، عن بلبل يزعم انها أعذب من نواح الحمام ! وانها طالما جربت في ترقيق الجوانح ، وتمهيد القلوب ، فأنت بأوفي النتائج . أمّا بلبل الزاوية فيصغي الى ذلك الغزل الشهويّ ، ثمّ لا يجيب بطائل ، كأن ضمير المخاطب ، الذي في القصيدة ، لا يعود اليه !

والحبّ لا ينثني في قصة ، فكيف يصحّ ان ينثني في هذه القصة ؟! والحاجة في الحبّ تسلك ألف سبيل ، وهذا من أدنى العلم ، عند القارئ ، فلا ينبغي أن أطيل

فيه الكلام ، بل أذكر ، من فوري ، ان بلبل العنابة  
 رأى ، بعد ذلك ، أن يدبّ الى الزاوية ، ويجلس من  
 صاحبه منظر العين ، عسى أن يكون قرب الدار ، في  
 الحب ، خيراً من البعد — كما قد قيل ، وان منظر  
 البلبل ، وهو يتنقل من غصن الى غصن ، في طريقه الى  
 منزل الحبيب ، كان أشهى منظر اوانه في اثناء ذلك ،  
 كان بلبل الزاوية قد فارق غصنه ، وتوارى في عالم  
 الهجران ...

ثم يرى بلبل العنابة ، وهو في الزاوية ، انه كان  
 للجمال ، هناك ، هنيهة ، وتولّت اوانه لم يبق له ، بعد  
 الحبيب ، الذي طار من اليد ، الا أن يشمّ ريح الريش ،  
 على الورق ... فالبلبل العاشق ، كالآدمي العاشق ،  
 يؤخذ ، في جميع مقامات الحب ، من أنفه اوسرعان ،  
 ما تخلو الحديقة ، في عينه ، من غبطة ، وبشر ، ومن نور  
 ينقط من الأغصان افينطقي القمر ، وينجع الليل ثوب  
 الحلاوة ، ويغرق البلبل في بحر اللوعة ، على الجمال  
 المحتجب بالغياب ...



وفي هذا الموضع من القصة ، يكون القارئ قد  
تشبع من غرض الكلام ، ويكون البلبل قد تهالك  
على الورق ، من غلبة اللوعة ، فضلاً عن مكابدة السهر ،  
وجهاد الحنجرة ، طوال الليل ، فاقول : ثم طلع الصبح ،  
وإذا الشجرة ، التي عليها البلبل ، شجرة ورد أبيض .  
فوقع البلبل على شوكة ، من شوكة ، وفاض دمه ،  
وصبغ بياض الورد . ثم أقول : يومئذ ، نبت الورد  
الأحمر في الدنيا ...

## امثال ريفية

### الصنيع الفنى

للقول ان ما يقع في الحياة ، يقع في الأدب :

— هيهات ، لا يسقط الطير من الجو مشويًا ا

أو تقول :

— يضرب المعول الأرض الف مرّة ، قبل أن

تخرج نبتة خضراء .

### الامثال فى الادب

للقول ان ما يقع فى الأدب ، لا يقع فى الحياة :



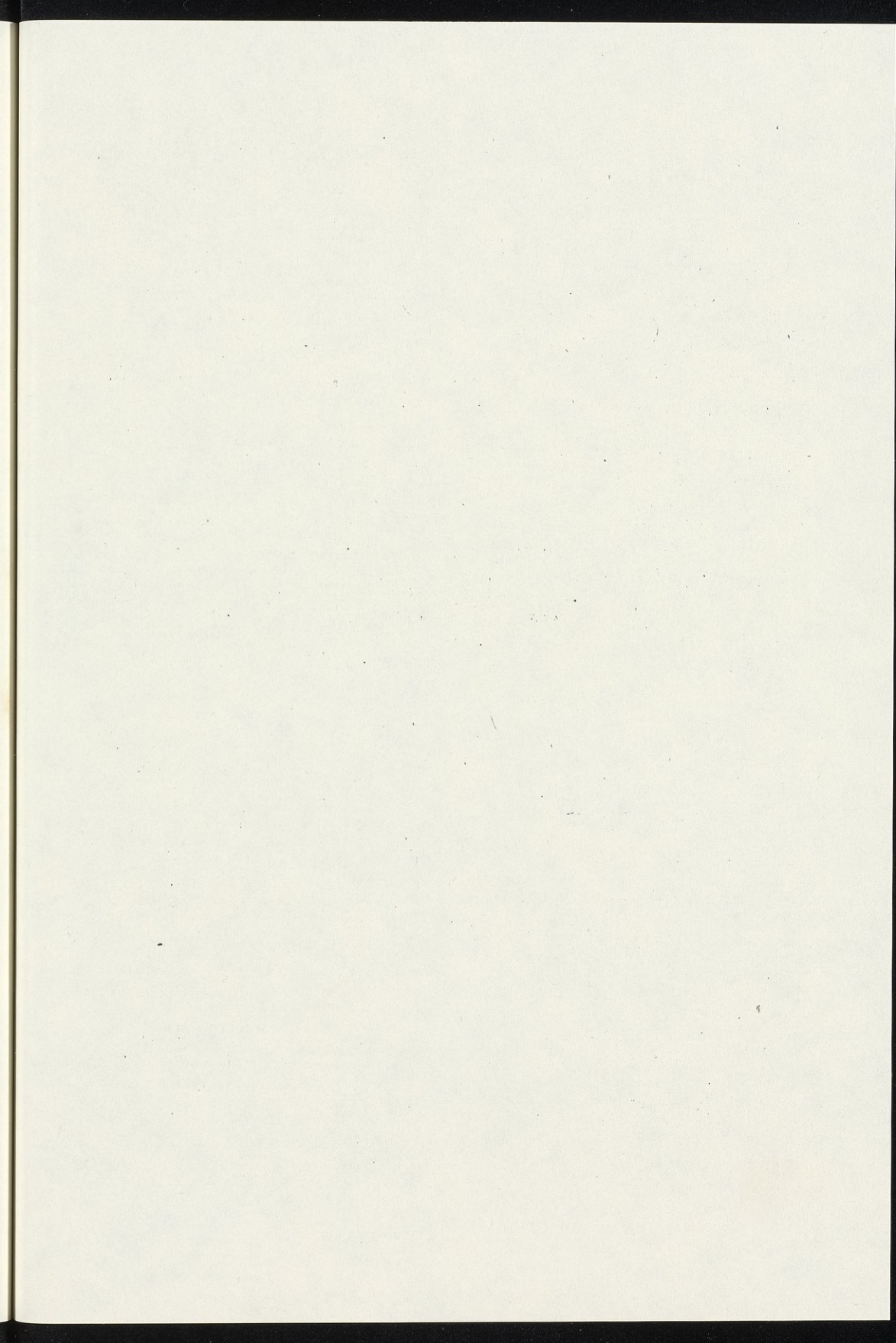
٨٨ — المفكرة الريفية

— المهر لا يأكل آباءه ، بل يأكل بنيه !

# الكتاب الثالث

في بيت فواد افندي





## في بيت قواد افندي

### الفن والطبيعة

على حائط الرواق ، قبالة المقعد ، صور لنا بعض  
الدّهانين زهرةً من الورد الأحمر ، لا ينقصها إلا العبق ا  
فنحن من وردتنا الحمراء ، في غنى عن الرقة ، والملاحة ،  
والخجل الأحمر ، حتى يذهب الشتاء ، وتجيء أيام الورد ،  
فندير وجوهنا عن ربيع الحائط ، ونقبل على تلك  
الشجرات الصغيرة ، المبسوثة في زاوية الحديقة ، وهي  
من كل لون وأرج ا

ويا للورد الأحمر ، يا (لحاتم) الطيب ، من مضيف ،  
تنزل عليه ، فيبش وجهه ، وتترنح أعطافه ، ويجود عليك  
من مادة حياته ، بما يملأ يديك ، واثوابك ، ومكانك ا  
فليتق الله سائله ...



وعلى شجرات الورد ، يلقاك ألف فهم مدوراً ١١  
 كأنَّ الحجل قد خلع شيمته ، وعاف انكماشه . فهو يجمع ،  
 أطرافه ، ويزمُّها ، ليلقي بنفسه على شفتيك ، في شمة  
 عميقة ، مستطيلة — الله اعلم ما أواخرها ١

على ان زهرة الورد الحمراء ، كأخواتها زهرات  
 الورد الأحمر ، في اللون ، والشكل ، والعبق . ومن  
 هنا يدب الى نفسك ، من فرط المشاكلة ، شيء كالملل ،  
 وتلاحظ ان الزهرة الحبيبة ، التي صبَّت روحها بين يديك ،  
 لها ألف أخت من مثلها ، تلقي بنفسها بين يدي غيرك ١١  
 اما وردة الدهان ، على حائط رواقنا ، فهي الفريدة ،  
 في ملك الله ، لا تشبهها وردة ...

### اللذة والفائدة

كان عندنا ، في الحديقة ، بين البركة والسياح ،  
 دالية باوراق ، وعناقيد ، وظلال . وكنا ، في ساعات  
 العشي ، نفيء اليها ، ونغدو من تحتها — وقد احمرَّت

السماء ، في مثل قبة خضراء ، تنطح قبة حمراء ...  
 وكانت تجي ، ايام القطاف ، فتمتلي عيوننا ،  
 وافواهنا ، واكفنا ، وخوابي الزبيب ، وأوعية الخرا  
 كرم دافق ، ونعمة متصلة : فمن الأفياء الى العناقيد ،  
 ومن العناقيد الى الزبيب ، ومن الزبيب الى قناني الفرح ا  
 ولقد ظل بنا واحد ، من اصحابنا ، من الذين  
 يزعمون ان فن الحداثق ، اليوم ، ينظر الى اشجار الزينة ،  
 لا الى اشجار الجنى ، حتى حملنا على قلع الدالية  
 المباركة ، فاقتلعناها — كرامة لعينيه ا — من أصولها ،  
 واثبتنا ، في موضعها ، شجرة من اللباب العالي ، الذي  
 يجب صاحبنا صنفه الطري ، الناعم ، اللطيف التعريج  
 والالتفاف .

فجري ، بعد ذلك ، ان العام ما كاد يدرج على  
 اللبابة الحلوة ، حتى اخضر بها البيت ، من البركة الى  
 الرواق . ولكن اللباب — على امتداده وإغصانه —  
 رقيق الظل ، لا يقي من البلالة ، في القمرآ ، ولا يكن  
 من الحر ، في اليوم الشامس . فبيتنا فنظر الى القمر من



الشبابيك ، ونلوذ في احتدام القipzig بالرواق ١١  
 وياسيدي : ان اللباب للزينة ، ليس غير ا فصفرت  
 من العنب ايدينا ، وفرغت من الزيب الخوابي ،  
 وكدنا نموت عطشاً الى مجة من قينة ...

مرثية ريفية

( في تأبين دالية العنب )

يا أبرك حمل ، على أطف ساق اهبط حظك ، في  
 الدنيا ، الى الأرض ، وقام حظ اللباب ... ولم يشفع  
 بسائك المرفوعة ، انها كالسما ، تعطي من فوق ، وتجود  
 بلا حساب ، وانها تنزل العصافير على أطيّب مائدة ،  
 وتبل القلوب باعذب ماء ١١٠

كل ثمر ، في الفم ، يبلغ طعمه حيث يبلغ طعم  
 الإدام ، ثم يقف — عدا ثمارك ا فهي التي تنفذ الى  
 الى الأحشاء ، وتغلغل وراء المشاعر . وكل ظل ، مداه  
 لا يتجاوز العين — عدا ظلالك ا فهي التي تمد الى القلب ،

فتخضّر الأشواق، وتدقّ البشار، لزفاف بنتك الحلوة...  
فيا خير أمّ، لخير بنت : أسفاً عليك ا

### فلسفة يونانية

قلتُ للخادم ، البارحة ، تحت اللبّابة :  
— أف لهذا اللبّاب ايملاً الحديقة ، ويكاد يدخل،  
البيت علينا ، ويلحق بنا حيث ندور ، وهو بعد هذا  
لا يستطيع ان يجود لنا بنفحة طيبة !  
فقال الخادم :  
— ليت سيدي يهون على نفسه ا فقد يكون ، هو ،  
الذي لا يستطيع الشم ...

### بين القديم والحديث

من كان يحسب ان الزمان ليس كل يوم في نقص ،  
وان الدنيا ليست على آخرها ، فليأتنا في أخريات هذا  
الشتاء ، يسأل قطّتنا ( عنبرة ) ، التي حفيت من الأيام



برائنها ، وكلت أنيابها !

( فعنبرة ) ترى الدنيا مقلوبة — وياسبحان الله ا —  
فاين هذه الايام الغائمة ، التي تطبق على القلب ، من ايام  
ماضية ، عفا الله عنها ا ذات ضياء ، ودفء ، وشمس  
تتضحك فوق خد الصبح ، وكنف ناعم ، يجلب  
النّعاس من آخر الدنيا ...

وعبثاً نذكر ( لعنبرة ) ان الوقت ليس بصيف ،  
وان قرص الشمس لم تخرم الفئران أطرافه ... بل انه هو  
السالم الباقي الى ما يشاء الله ا ( فعنبرة ) لا تعرف قاعدة ،  
واحدة ، من قواعد حركة الفلك ، ولا تصدق ان  
الشمس محطّات ، والشعاع مواسم . فانزوت عناً ، في  
غرفة الموقد ، وركبها المهم ، بين كتفيها ، وذابت من  
البكاء على الماضي ، حتى لتكاد الفأرة تعض اذنها ،  
ولا تبالي ...

وافكه شي . هذا الذي اصاب ( عنبرة ) ، من فرط  
تمسكها برأيها ، وتشددها لعنادها . فرجماً كرهت شيئاً ،  
وأحبت آخر ، لغير ما سبب واقع ، إلا ما تظن من جدّة

في ما تكره ، وتقادم في ما تحب ا فهي تحب ، مثلاً ،  
حرف ( الطآء ) أضعاف ما تحب ، انت ، قطعة من الجبن  
الهافت من المشاشة ... وهي ، كرامة ( للطآء ) ، قد  
اصبح اسمها قطة ، لا هرة ، ولا بساً ، ولا سنوراً ، ومن  
أجله اصبح شعرها ققطاً ، ومشيتها مشي القوطي ،  
ومن أجله ، ايضاً ، اصبحت قطعان الفأر تكرر علينا ،  
في البيت ، قطنط قطنط ...

### الجريد

هذه أول ورقة تخرجها شجرة اللوز ، في الربيع  
الجديد . فيافرح العيون بالكنز الصغير ، المعلق ابشير  
للخير بان الربيع وافى ، وعنوان للكتاب الذي تدور  
ابوابه على الطرآء ، والنداوة ، ورش الزهر ، وعلى  
فنون الصياح فوق الشجر ... وكأنما البيت ، بهذه  
الورقة الخضراء ، الصغيرة ، يكاد ، من الفرح ، يهبط على



قدمين — فالأمل وراء الباب ا

فعمسى أن لا يرزقنا الله ، في هذا السرور الدايق ،  
من ينغصه علينا ، فيجي ، يقول لنا ان الورقة الحبيبة ،  
طلعت في شجرة اللوز ، حيث طلعت اختها في الربيع  
الفائت ...

### عبث النفر

البلبل في حديقتنا ، فالمرجان قائم : صيحات  
تتساقط على الورق ، وجناحان يحكّان حلياً بزينة ، ومنقار  
أحمر يتمسّح بأخضر ...

والليل ، كما تدري ، قفص الصّبابات ، وكأنما  
البلبل ، في الصباح ، قد أفلت من يد الليل ، وانبرى  
يصيح : آه من الليل ، وآه على الليل ا ا

... ويزعمون ، بعد هذا ، ان الحمام أبكى من

البلبل ا

### التربية الملائكية

كلبنا (لولو) من سلالة عريقة في أمة الكلاب .  
وهو ، على التقريب ، في مثل حجم الكف ، أشعر ،  
أشعث ، تبرق عيناه الزرقاوان من الفرح والبهج . فهو  
دائم القفز ، بين الرياش والاثاث ، تشهد مخاد الحريز ، في  
غرفة النوم ، بجدّة مزاجه ...

و(اللولو) زوجة ، اسمها : (نيننا) ، لطيفة الحس ،  
بادية الملاسة . لها أذنان ، كورقتي آس ، وستان كحبتتي  
لؤلؤ ، وفم يضم بعضه بعضاً ، كالياقوتة ، وبراشن —  
استغفرُ النعومة ، فقد قلت انها براشن ... ألا ان (نيننا)  
لا تقل عن (لولو) ، في فوران الطبع ، قلامه ظفرا  
فاذا هو رفع في الجو ذيلًا ، كالسهم المريش ، رفعت هي  
آخر ، كريشة العواد . ثم يزعلان معاً ، فيرج الزجاج في  
النوافذ او ما تكون الأطراف عين ، حتى تسكن  
الفورة ، ويتلاقى الزوجان في زاوية ، من حجرة المائدة ،  
على اشهى ما يكون نعيم الزواج !



ومثلما تشاء، انت أن تحيا حياتك — كما يُقال عند  
الفرنسيين ... — فكذلك يشاء. (لولو) ، وكذلك تشاء.  
(نيننا) افهما اذا برد الزمان عن شجرة التفاح ، في  
حديقتنا — وقد أدير الصيف ، وتفتّرت بورق ، من غير  
مطر — خرج الزوجان الى الحديقة، وقبعا تحت التفاحة،  
في ظل ذلك الربيع المتوهم ...

وهيمات ان نستطيع ردّهما الينا ، في جهمة الأيل ،  
الأ وقد انتشرت الروائح من المطبخ — قبيل العشاء ،  
فيرجعان بالسلامة ، في قفز وتسابق . فهما من أهل  
الخيالات والفنون ، حتى تلوح الخادم بعكّة المرق ، ومن  
عشاق الاغصان والماء ، على البركة ، حتى تعجب الصحاف !!  
ولقد تكون الليلة ، من الليالي ، والفصل صيف ، والدنيا  
قرأ ، وحديقتنا ، من النسيم والضوء ، تقوم وتقع ،  
ويكون (لولو) قد تملأ من الأكل ، وانتفخ — حتى  
لتلطمه بطرف يدك ، فكأنك تنقر الدف ا فاذا هو  
يجاسب (نيننا) بالأنياب والأظافر ، على مزعة من الخبز ،  
قد سقطت عن المائدة . وعفاً الله ، في تلك الساعة ، على

القمر ، أطلع أم غاب ، وعلى النسيم أتنفس أم أطبق  
 فه ... (فلولو) خيالي ، من الطبقة الأولى ، لكنه ذو  
 اقتصاد ، من الطبقة الأولى ، ايضاً ، يعرف كيف يحتزن  
 في (البنك الأهلي ...) ، وراء المطبخ ، كسرة الرغيف  
 الأبيض ، لليوم الأسود ا

### في نيوبورك

ما لهذا الجندب ، يشب الى النقرة ، التي حفرها  
 سقيط المطر ، تحت الرواق ، ويطفرف الى الرملة المجتمعة ،  
 عند الحائط ، ثم يصعد متسلقاً جبل الليف ، متوقلاً في  
 عيدان السقيفة ، ثم يكرّ أدراجه ، ويغيب خلف  
 السياج ١٩

وها هو ، الآن ، يرجع اليينا ، يقلب رجليه ، من  
 الكلال والتعب ، فيقع ، هذه المرة ، في يدنا  
 ويا للبشاعة ا لحم اشبه شيء بالعظم ، وجلد كأنما  
 كُشط عنه الشعر ، فكزّ وانقبض ، ووجه فيه طول ،  
 من غير عرض ، ومنكبان ساقطان ، وفخذان من قلة



اللحم ، كأنهما اثنيب القصب .  
فأرمي الجندب ، وراء الجدار ، ثم اطل انظر ما  
فعل به الله ، بعد هذه القحمة الشاقة ، فاذا جماهير ، من  
الجنادب ، يلتئمون حول (مستر) جندب — وهو الذي  
فاز بلقب (بطل الرّكض) ، منذ لحظة — ويمسحون  
وجهه من العرق المتصبّب ١١

### الجمتمع الاميرطالى

اماً وقد اتفق لي ، من غير توقع ، ان أفاد الى المدينة  
الاميركائية ، القائمة في ظلّ الحائط ، فلا دخلنّ على العالم  
الجديد ، من أهون سبيل ا  
ولعلّ أوّل ما يخطر لي ، في المدينة ، أن أبحث عن  
صاحبنا ، بطل الرّكض ، او أن اهتدي ، في الأقلّ ،  
الى المصنع الذي يعمل فيه بالمياومة ... ولكنّ ذلك ، في  
ما أرى ، هو أعسر شي . فهذه الملايين ، من الخلائق ،  
التي تصبّ في الشارع ، بتدافع وصمت ، كما يصبّ  
النهر الحزين ، المنقطع الجلبة ، لا يُستطاع ، معها ، أن

يُتَبَيَّن وجه بطلنا ، من تحت قَبْعته السوداء ، المكورة  
 كالبطيخة ا فالشارع ، من مبدئه الى منتهاه ، يعج  
 بالبطيخ الأسود... وهيئات أن تظفر ، خلال هذه  
 الزحمة ، بقبعة متأخرة عن الجري ، تستوقفها ، وتدحرجها  
 بين يديك ، حتى باب المصنع ا

ثم تنظر الى الحارات ، عسى أن تستدل الى بطل  
 الرِّكض بقنطرة مرفوعة ، على جاه ساقيه... فاذا  
 الشوارع متشاكلة ، والبيوت متشاكلة ، لا يندُّ البيت  
 عن لزيقه ، في نمط او لون . فما ظنك بأن نهتدي  
 الى صاحبك البطل ، ونجره اليك من أذنيه ؟! انها هنا  
 عموم ، لا خصوص فيه ، وامة ولا فرد ، ومدينة ولا  
 بيت ، حتى ليصح القول انهم ، في مجتمع الجنادب ،  
 يشورون دفعة واحدة ، ويهمدون دفعة واحدة ا وان  
 الجيل ، منهم ، يُولد معاً ، ويموت معاً... ولولا خوف  
 المبالغة ، لقلنا : ان الرجال ، عندهم ، صف من هنا ،  
 والنساء من هاهنا صف يقابلهم ، فيتزاوجون هكذا :  
 كرة كرة ، وكرتين كرتين ...



— فالحمد لله على ان بيتنا خصوصي ، منفرد في رأس

الضيعة ا

### صرار الليل

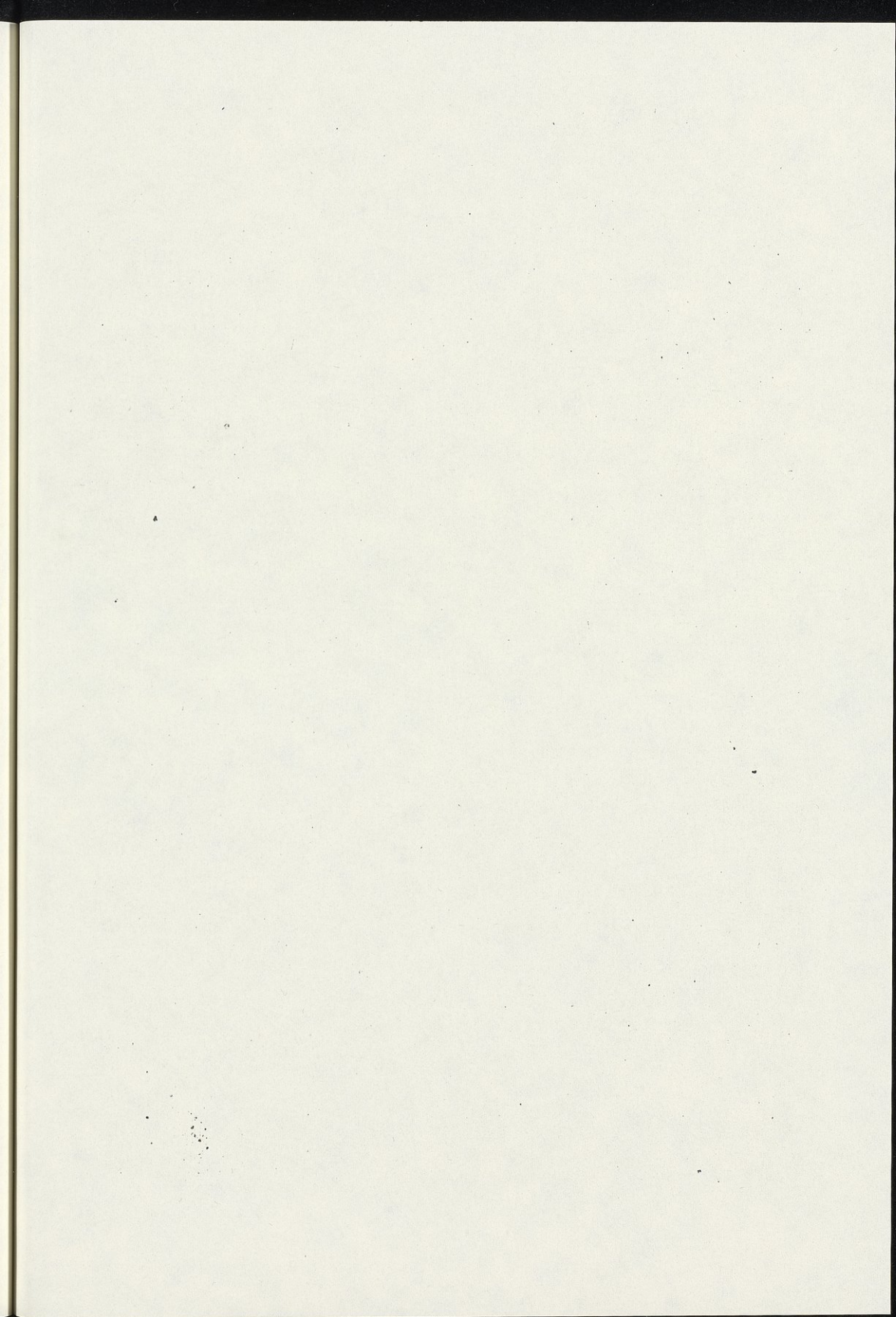
ليتنا ، هذه ، ساكنة صافية . فالبيت لاجس فيه —  
بعد ان قبع ( لولو ) وصاحبه ، على باب ( البنك  
الأهلي ... ) ، في طمانينة وصفاء . واشجار الحديقة لا  
لا يوقظها موقظ من أحلامها الخضر ... ولولا ذلك الصباح  
الرقيق ، الذي يتعالى عند البركة ، لقلنا اننا ، والبيت  
والحديقة ، قد غرقنا في حزن الليل ، جميعاً ا

فاقبلت على البركة ، انظر الى هذا الكياد العنّاد  
في مجاهدة الصمت ، فاذا صرّار الليل قد تشبّث بفوارة  
الماء ، واقام يصيح من فوق ذلك الأوقيانوس العظيم ...  
مسكين صرّار الليل على حرفة الارتجال ا ا ففتق  
لسان ، وصب ريق ، حتى يشهق الصباح ، وهو لا يعيا ،  
ولا تستغلق عليه لفظة — فكانه ليس مثلنا في حاجة  
مقيمة الى تفتيش الكلام ، ومعاودة النظر .

صرّار الليل في الكتاب . . .

( هذه الورقة ، من المفكرة ، سقطت ، وضاعت  
علينا ، ولم يسلم لنا منها إلا العنوان . والقارئ يدرك ،  
ولأريب ، مبلغ أسفنا على ذهاب هذه الورقة من  
يدنا !! ) .





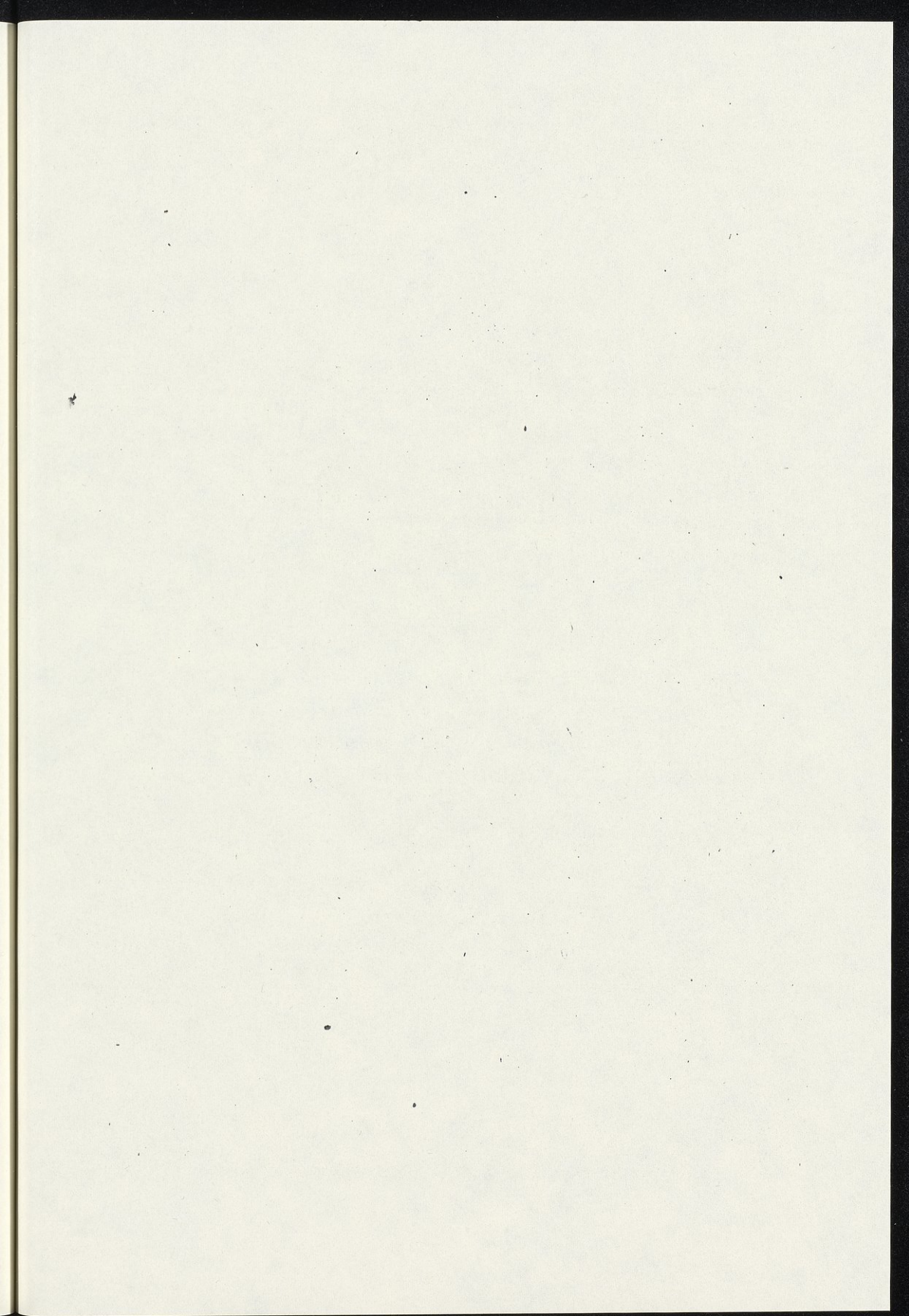
## ملاحق

اعتلَّ فؤاد افندي ، وهو يكتب ( المفكرة ) ، فانقطع عن الكتابة  
أياماً ، عاد بعدها الى معالجة القلم في هذه القصة ، عسى ان يجد ، في موضوعها  
الشمسي ، نشاطاً لنفسه ، وجماماً لقرينته ، فكتبها في ستة ايام - كما يرى  
القارىء - كل يوم فقرة ، ومسح قلمه منها في اليوم السابع - متابمة لقصة  
الحق ، ولا بدع ، فهو ، ها هنا ، بين دفتي ( التوراة ) يرح ! والمثل يقول :  
( في العرس زمر ) .

وقد كان أيسر شيء عليه ، أن يجعل القصة تدور على التين ، مثلاً ، بدل  
التفاح ، فيطلق الكلام في تينة ناضجة ، ناضجة ، يتقطر عسلها ويلتصع ، في  
الشمس ، كصغار اللؤلؤ . . . وتكون بما الصورة اتم ، والمعنى اهد ،  
ولكنه ، في ما احسب ، قد ابي ان يخالف كاتب ( التوراة ) ، في شيء ،  
حذر الوقوع في المحدثات والاباطيل !

وهذه القصة لا تتصل بالفرض الذي صدرت عنه فصول ( المفكرة ) -  
بل تكاد لا توميء اليه ، ولكنها قد كتبت وإياها في مناهج متقاربة ،  
وخواطر ملتزمة ، لذلك ألحقت بالكتاب .





## قصة الفردوس الارضى

( الاثنين )

نحن في هذا المقام، من حوادث القصة، حيث لا تبرح الدنيا عذراً، : عهدا بالضوء، واللون، والصوت، من خمسة ايام، فهي تلمع بالبهج الجديد، من كل جانب ا فمن رأى زرقه الجلد، على حائط الفردوس، رأى زرقه غير هذه ا كانت الألوان لم يختلف عليها الزمن، بعد، لم تبتهت، فهي عميقة، مائجة، ندية اللمعان... وكيف يُقال عن صياح الطير، في بعض اكناف الفردوس؟ افتحسب، انه كان بصيحة البلبل، مثلاً، بحه هذا اليوم القائم - وهو آخر الزمن؟ ا كان جد البلبل اصح شطوحاً من سلاته، وأمتع غنة، وأذ مقطعاً وقراراً. فاذا أطلق صوته على نهر الجنة، تساقط على الموج فرح، وطنين ناعم، من مثل ما يكون



لأسلاك الفضة ، وهي تقع على الزجاج ا

وكان البلبل ، في الفردوس ، أولع ما يكون بالنسيم —  
يجب صحبته ، والدوران معه ، حيث يدور ا فالنسيم  
لم يكن في هذه الطلاقة ، التي تعدها له اليوم . كان لم  
يرن ، بعد ، على الكرّ والهبوب ... فير كب البلبل بين  
منكبي النسيم ، ويدلي قدميه ، كما تُر كب الدابة اللينة ا  
اما ضواري الوحش فليست بضوار ا — ونحن لا  
نزال قبل العهديوم التفاحة ، وشره المستطير — فالأسد  
غير هصور ، والذئب غير عاو ، وحمار الوحش حمار  
باربع آذان ، ككلّ الحمير ا لا يذعر ، ولا يضرب في  
الجوّ ذبلاً ، كأنه الشيحة في طرفها نار ... وكذلك قل في  
بقية الحيوان ، فهي من آس ما تكون : تتلاقى في الفي ،  
او على الماء ، فتشغلها موجة تبرد ، او خيط من الضياء ،  
يتقطع بين الغصون ا او تنام هنيئاً ، فكأنها تنتظر يوم  
التفاحة ، ليكون لها شغل في هذه الدنيا . . . واين عينك ،  
يومئذ ، فترى الأسد ، نفسه ا فان ظفره ناعم ، لطيف  
الحرف ، لو غرز في خد امك حواء ، قبل ان عضت

التفاحة ، لما أحسَّت الغرزا

ولعلَّ امتع مشاهد الجنة : الابل ! فاذا انحدرت  
الشمس ، وسقط قرصها في الموج ، وانطفت الحمرة ،  
غشي الجنة نعيم اسود ، رطب ، اسمه : الليل ...

وليل عدن لون آخر للنعيم ، بعد لون النهار ، جعله  
الله قائماً ، هكذا ، مخافة أن يسأم اهل الجنة النهار ، ودوام  
البياض — ملهاة من نعيم اسود ، عن نعيم أبيض !!  
فلطالما وقف البلبل على العصن ، في العشيّة — وقد دار  
عدناً ، وتقلب في كل أخضر ، وهو يتربّب مطلع ذلك  
القرص الأبيض ، الذي يجي في السواد ، فيفضح كل  
ظل ...

(الثلثاء)

وكان الله ، سبحانه ، في عدن ، يرفع انكافه . كان  
يربب بعض طرق الجنة ، وهو يتفقد خلقه ، ويتعهد بستانه ،  
فيلحق به كل من رآه من طوائف الحيوان ، فلا ينتهر  
الجماعة ، ولا يتنحى عن طريقها ، بل يهش لأولئك



الفضوليين الحمقى ، ويظل في مضيه . ولم تكن نزلاته على الفردوس كل مرة ، في طبول ، وابواق ، وصهيل خيل ، وقعقة سلاح وزرد ، مما يكون للجبروت السماوي ، في المظهر العظيم ، فقد كان ، سبحانه ، لا يبرح من الطين والماء . في شغل شاغل — لم يجئ يوم استراحته ، بعد !

ولقد فتن ، سبحانه ، في آخر الأمر ، تلك العجاوات المسكينة ، وشغلها عن الطعام ، والشراب ، والمرح في مناكب الجنة ، فان نزوله المتعاقب ، ورفع الكلفة الى غير حد ، جعلها عندها شيئاً من الكلف به ، والتهالك عليه . بل ان الأمر لم يقف عند هذا القدر ، فقد زعموا ان واحداً ، من الثيران ، بلغ به الوأله ، وقلة الجلد ، حتى ليضرب قرنيه بالجمد القاسي ، لتأخر الله عن النزلة في بعض الايام ، فحطمتها على صخر في الجنة ، وقيل ان حمامة ما زالت تهتف ، يومئذ ، وراء الغمامة ، التي تفيئه ، سبحانه ، من الشمس ، اذا هبط الجنة ، حتى عاد هتافها

بكاءاً !

ومن هنا ، في ما يظهر ، نشأ البكاء في طبع  
الجمام ...

(الأربعاء)

أقبل على الفردوس ، في عشية اليوم السادس ،  
واحد (آخر) ، فتنادت فرق الحيوان ، من كل فج ،  
وهرعت على قائمة وجناح ، وازدحمت على جدك ، في حلقة  
يركب بعضها بعضاً ، وطفقت العيون تبحلق ، وتحك  
الأذنان الأذبال — بغتة ، هيهات أن يتعلق بها وصف  
الواصف ا

فمن تراه ذلك الواحد الآخر ا وهو عن كذب ،  
وتحديد نظر ، كثير المشابه بصاحبه ، ولكن للأول  
الف مميز ، تراه بعينيك — لو كنت ، ذلك اليوم ، حاضراً  
تنظر ، ولا يعلقه لسانك ا وعبثاً نفتش ، الآن ، في هذه  
المشبهات البشرية ، التي لا يقع تحت يدنا غيرها ، كما  
تعلم ، عما يشخصه لك في الورق — فضلاً عن أن يفني بألف



لخصيصة آليّة...

واين جدك ، المسكين ، من صاحب الجنة ، وهو  
الذي في لحظة ، واحدة ، يمتطي كتف السحابة ، او يسك  
بجانب القمر ، فيقتلعه ، فيمسح وجهه ، فيشكّه في علياء  
الجلد ١١ والذي يجمع أصابع يده ، في عنف ، ثم يضغط ،  
ثم يفتح قبضته ، فاذا ألقاف الشجر تتلاطم ، والانهر ،  
تربد وترتج عدن ، من اطرافها ، ذعراً وخشية — ذلك  
حيث يغضب ، تعالى ، من تين ، مثلاً ، قد عاب على  
السمكة هوانها ، وهما يتقلبان في اللجة ، او من خفاش  
زعم ، في سمر الذباب ، ان وضع النهار ينم قلبه ا

أما صاحبنا ، هذا ، الواقف في بهرة الحلقة ، فقد  
خذله عقله او يحقّ لجدك ، الذي زج ، تلك الزجة ، في  
حلقة مضاعفة ، من حيوان ، وشجر ، وأرض ، ورقيع ،  
أن يدير عينيه ، في ما حوله ، وأن يردّها ضائعتين ، وان  
ينقلب ، في آخر الأمر ، مكدوداً ، قد أعيا من الدهش ،  
لا يعرف — بل لا اعرف ، انا ابنه ، بعد فوات الوهلة  
بالآف السنين ا — ما هذه الدنيا ...

ولكن الله ، سبحانه ، وهو اللطيف ، الشفيق ، لا يترك جدك في الورطة — وكذلك كان . فلقد جذبته ، من يده ، الى زاوية الكرم ، في الجنة ، ومشى آدم ، من خلفه ، ينقل قدميه ، وكأنه يغرزهما في الأرض ، من ثقل ما به ١١

وكان الوقت عشيّة ، والنور احمر بليلاً ، يتقأب على العنب ، ويزلق عن أطراف الورق ، وكانت انفاس العشيّة تتهادى على الاشجار المثقلة ، في دفء ولين — كأنها رحمة الله ...

وزاوية الكرم ، في الجنة ، ساء من عناقيد ، فوق ذلك مرتفعة ، تشرف على وادي عدن ، حيث اعشاش الطير ، وملاعب افراخها — فحوّاءات الطير كنّ قد قطفن التفّاح ، الف مرّة ، قبل أن تولد جدتك ، فأطعمت كلّ حوآء ، منهنّ ، آدمها ، على أهون شيء . لم تقم عليهنّ القيامة ، ولا ألفت القصص !

ولقد ظلّ ، سبحانه ، يجرّ آدم من يده ، حتى شفير الوادي . فأجلسه من بيوت الزّواج ، ومناعم الأكفاف ،



عند الطير ، منظر العين ، عسى ان يسري عن قلبه . فلما  
 شمّرت الشمس للغروب ، ولبس الشجر الظل ، تمسّى في  
 عدن ، شيء كالمساء ، او كالوحشة — استغفر الجنّة ا  
 وانقبضت رحابة الافق . فاذا السماوات تتنادى ، وتنشق  
 عن المالك الكبير ، واذا النجوم تريح عن الدرب ، وتزدحم  
 بالاكتاف ، فيدخل سبحانه ، بيته .

فلما بات آدم وحده ، نظر كيف يصنع في ذلك  
 السواد المخيم ، فلم يُفتح عليه بشيء — اذ ان حوآء لم  
 تكن قد آتت ، بعد ا

( الخميس )

ثم آتت حوآء — واني أسألك أن تعفيني من القول  
 كيف آتت ا فذلك يحرك الجرح القديم ، في هذه  
 الأضلاع الآدمية ...

( الجمعة )

وفي ساعة حرى ، من مثل ساعات القيظ في الدنيا ،  
 خرجت الحية تسعى . وكانت جدتك — عليها السلام —  
 قد جرى بينها وبين الحية ، في بعض الزوايا ، كل مستمع

عن أكلة الأكلات : التفاح ١١ — على ان زوجها كان لا يدور في خلده شيء ، مما يُدار عليه ، من حديث ، في الرّوايا ا وها هو ذا ، الآن ، على تلة مرتفعة ، بين حرت مطبّق ، وفاكهة رغد ، يكرّر النّظر الى أنثى الحمام ، وهي تأخذ بمنقارها جناح صاحبتها ، تشمّ من ريشه ريح الرّوج ، ولا تطرف عين آدم ا فإنّ شجرة الحرام لم يكن قد ذاق طعمها ، صرفته عنها الآف الشجر ، من كل مذاق وذكهة . فاذا وقعت عليها عينه ، ذات مرة ، وهو يعبر الى بعض بجابح النّعيم ، ذكر الأجاص ، او الكريز ، او الخوخ الأجر ، الذي يقال له في زماننا : ( حدود البنات ) ، فيشبح بوجهه ، عن التفاح ، قانعا بالحلال ، راضيا بالقسمة ا

فتقف الحية ، بين يدي حوآء ، وتبسط لسانها في حديث شهبي عن التفاح . كأن تذكر لها مذاقه ، ولذائذه ، وألوانه ، وكيف يُبلغ فيه من القشرة الى اللباب ، وكيف يُشمّ بمجموع الشمّ ، ويُعضّ عليه بمجموع الفم ، وكيف يقطر ، وكيف تسيل الحلاوة ا ثمّ تتبسّط الحية ،



في وصف التفاح ، وصفاً سائفاً لذاً ، لورن طرف منه  
في أذن آدم — وهو لا يزال في تلك الساعة ، عند بيوت  
الجمام ، لا ابتلع تفاحتين ، اثنتين ، بالقشر والعجم ، قبل  
أن تفرغ الحية من الوصف ا

فتقول لها ، في جملة ذلك ، ما مؤداه ، على التقريب :

— خابت العناقيد ، ياسيدي ، عند معاقد شعرك ا

وزم الرمان أزراره ، من الحجل ، دون أصابع قدميك ا....

أما التفاح ، فما عساي أن أقول فيه ؟ ما عسى أن يقول

فم في تفاحة أشمه ، فتسترخي نفسي من طيب الحرام ،

والوي عليه ، وأتف ، فكأنني غمرت النعم بكتليدي .

ثم اعض ناحية الملح المحض ، والحلاوة الخالصة ، فيندلع

لساني من فرط التشهي : طعم يبلغ حيث لا يبلغ طعم ،

واستمرآ ، طيب المقطع ، ومضاغ ذو نفس ، وفتق التذاذ

يصب من خالص العظم ، وجمام فيه مستغنى عن التمطي ،

وكفاية من التضعع ا فيا طيب التفاح ، من حرام ، هو

أطيب من كل حلال ، ويا غفلتك عنه ، في هذا الفراغ ،

الذي يلا عدناً ، على أن ليس بينك وبينه الا مد اليد ا

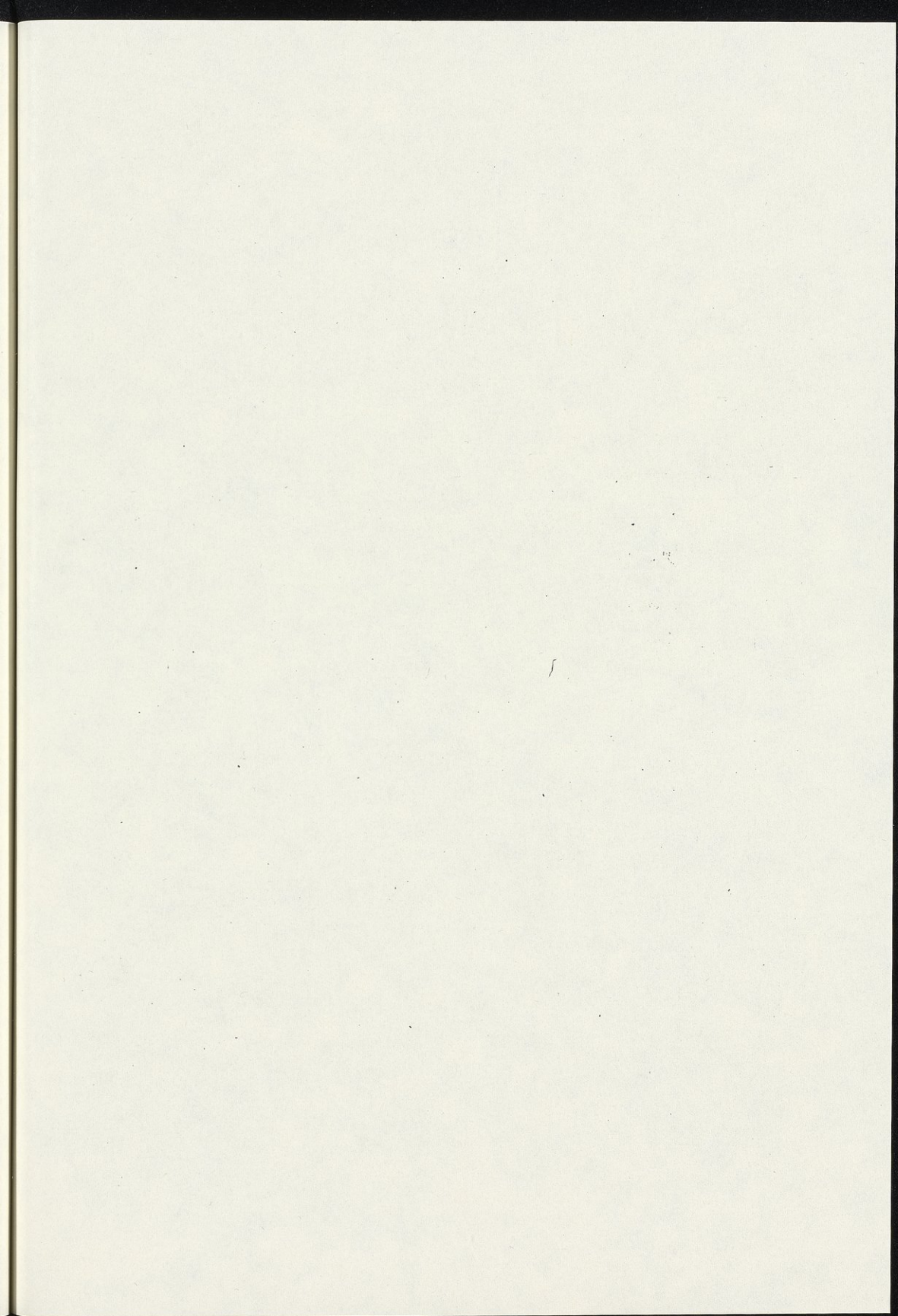
فتناولت حواء التفاحة ، وانطلقت تفتش عن آدم ،  
في أحد المنازه ، حتى ظفرت به ، فشمّ وشمّت ، وعضّ  
وعضّت ، وأخذت التفاحة تقطر على الأرض .

( السبت )

فعلم صاحب الجنّة ، سبحانه ، انّ شجرة التفاح  
ترتجف ، من المعصية . وكان آدم وصاحبته قد انكشف  
لهما الأمر ، وانفتحت أعينهما ، ورأيا عريهما ، فانسلّا  
وراء الشجر ، في بعض العطفات ، يختبئان من صاحب  
الجنّة ، خوفاً وحياءً ... ذهب يوم الخلوة والقصف ، وجاءت  
ازمان التنغيص ، والكدر ، وتحطيم القلب ، والانزعاج  
عن الفردوس ا

فأخرجهما ، سبحانه ، من عدن ، وانطلقت حواء ،  
من فورها ، الى أقرب خيأطة ، في الشارع ، تستبدل  
عندها ذلك المتثر من ورق التين ، وراح آدم يغرس  
اشجار التفاح ، في حديقة المنزل — وقيل : الحمد لله ا





## كلمة الختام

( إلى القارئ )

رفقة كتاب واحد ، كرفقة يوم واحد ، هيهات أن  
تنقع غلة ! فاذا طويت هذه ( المفكرة ) ، فلا تستعجل  
رأيك في صاحبنا ، فإن بينك وبينه أياماً أخرى . وأما  
إذا انقطع اللقاء ، فيكون لك من الرأي ، عندنا ، أن  
ترجع إلى الكتاب غير مرة ، تتمكن من أغراضه ،  
وتتوفر على دقائقه ، وأن لا تستكثر الرجعات ، فخير  
القرآن ، كخير الكتاب ، لا يكتفي بمرّة !

فأما إذا انقلبت عن الكتاب ، آخر الأمر ، وكانك  
منه في مثل أول عهدك به ، فنصيحتنا لك أن تطرحه  
عنيك أو مالك ، بعد ، ولهذه الأغراض القصية ،  
والدقائق الضئيلة ، التي يجمع لها الفكر ، ويحصر عليها  
النفس ، ويستنفد العمر ... — ونحن ، يومئذ ، يلهمنا



الله سلواناً في قارئ فرط من يدنا ا

•••

بقي أن نذكر لك، ان (فؤاد افندي) ، يحمد الله،  
الآن، فلقد كتب هذه (المفكرة) — كأنما هو ، بذلك ،  
قد طرح ثقلاً من نفسه اا وانه يرجو أن تعلم ان هذه  
القضايا ، التي مرّت بك ، في الكتاب ، لم تبق ، اليوم ،  
من مشاغل باله .

## الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١	الماء الريفي	٥	كلمة الافتتاح
٣٢	نبع المدينة	٧	في سبيل المقدمة
	« اخبار ريفية »	٩	المقدمة
٣٤	جاء نيسان . . .		« الكتاب الاول - في بلاد الجبل »
٣٥	الى ذوي الذوق البري		« على درب الريف »
٣٦	الفراشة البيضاء	١٩	دروب الريف
٣٦	حلالج الريف	٢٠	خيمة البركة
٣٧	امرأة . . .	٢١	القمح
٣٧	اخبار صغيرة	٢٢	العلاقة الريفية
	« اغاني ريفية »	٢٣	الزهرة الادمية
٤٠	اغنية الابريق	٢٤	صلاة الممز في الريف
٤١	اغنية المغزل	٢٤	الانهر الشتائية
٤٢	اغنية العين		« الريف في المدينة »
٤٢	اغنية السنبل	٢٦	التفاحة وبواكير التفاح
٤٣	اغنية نسيم الجبل	٢٦	الزهر
	« مقاطع تمثيلية »	٢٧	العنب والبطيخ والقثاء
	« تجري حوادتها في الريف »	٢٧	اللوز الاخضر
٤٤	الراديو	٢٨	الديك
٤٥	عصر الثروة الكبير	٢٨	البنفسج
٤٦	نعمة العلم . . .	٢٩	العصفور
	« قصائد ريفية »		« بين الريف والمدينة »
٤٧	غزل	٣٠	الطبيعة الحلائية

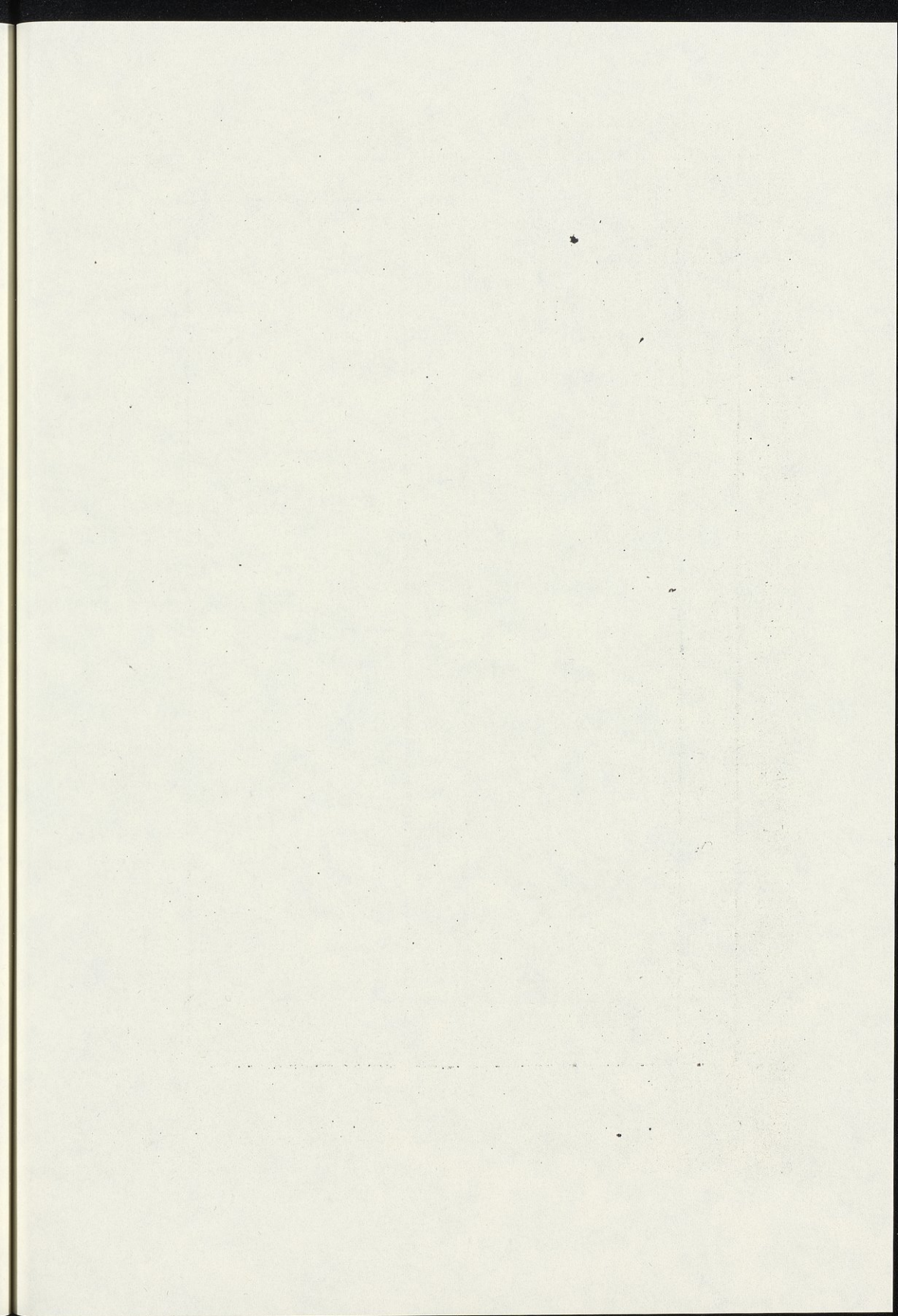


الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٨	الطاووس		مطلع قصيدة ( الى
٥٨	كراز الراعي	٤٧	شجرة في طريق (٠٠٠
٥٨	الغراب	٤٨	عنقود العنب
٥٩	صفورالتين	٤٨	شمر مدني
٥٩	الورد	٤٨	قصيدة في مدح المطر
٦٠	البنفسج	٥٠	اغزال ريفية
٦٠	الاقحوان		« مطالعات ريفية »
٦١	الخوخ	٥١	خرير الماء
٦١	المشمش	٥١	النهر والبئر الفريدة
٦٢	القراصيا	٥٢	الطاحون
٦٢	لكوريز	٥٢	الازاهير الريفية
٦٢	الرمان	٥٣	عصر المداواة بالزهر
٦٣	عرائش العنب	٥٤	حب الزهر
٦٣	الزبيب	٥٤	الحشرات الصغيرة
٦٤	الدبس	٥٤	الشجرة التي تصطفق في الريح
٦٤	السفرجل	٥٥	الاوز
٦٤	البطيخ	٥٥	خياطة القرية
٦٥	الصمغ والنعناع والباقلاء	٥٦	روح الريف
٦٦	الباذنجان		« بضاعة ريفية »
٦٦	التفاح	٥٧	العناب
٦٧	الحيار	٥٧	الخرنوب
٦٧	القنأه	٥٧	لجوز واللوز
٦٧	الرشاد	٥٧	السوسن
٦٧	التوت	٥٧	الشقائق
٦٧	العنب الاسود	٥٧	لقصب
٦٧	المسلوج	٥٨	الشعيب



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	« امثال ريفية »	٦٨	السباق الاحمر والشيخ والزعزور
٨٧	الصنيع الفني		
٨٧	الاجيال في الادب		« الكتاب الثاني - بذور ريفية للزرع في المدينة - وامثال ريفية »
	« الكتاب الثالث - في بيت فواد افندي »	٧١	« بذور ريفية »
	الفن والطبيعة	٧١	فضية اللفظ والمعنى
٩١	اللذة والفائدة	٧١	مسح القلم في الفن
٩٢	مرثية ريفية ( في تأبين دالية العنب )	٧٢	الغموض
٩٤	فلسفة يونانية	٧٢	شمر الرصافي
٩٥	بين القدم والحديث	٧٢	توزيع القسط بين المعنى والمبنى الى المبتدع
٩٥	الجديد	٧٣	قضية الالهام في الفن
٩٨	عبث النقد	٧٣	الوقعة في الجيل الماضي
٩٩	التربية اللاتينية	٧٣	جماعة القاهرة والصدق (التقليد)
١٠١	في نيويورك	٧٤	التفاريق والجملة
١٠٢	المجتمع الاميركاني	٧٤	حفظ النصاب
١٠٤	صرار الليل	٧٤	النقد
١٠٥	صرار الليل في الكتاب ٠٠٠	٧٥	فن القصة في العربية مادة الادب
	« ملحق »	٧٦	منفلوطية . . . (في مخاطبة الامر لصعب)
	تمهيد بين يدَي قصة الفردوس الارضى	٧٦	قصة البليل
١٠٧	قصة الفردوس الارضى	٧٧	الادب والطبيعة
١٠٩	كلمة المتتام	٧٨	الوردة الحمراء
١٢١			





كان ينبغي أن يرسم ( السلولو ) و ( تومي ) ، في الصفحة ١٠٢ ،  
بالصورة التي يراها القارئ هنا . ولكن الطابع سها عن تحرير ذلك . وقد  
غفل ، أيضاً ، عن تحرير أشياء أخرى ، لا نطيل باستيفائها ، فالوجه فيها يدرك  
بأدنى رؤية .

عدد النسخة - ٢٥٢

« حق إعادة الطبع محفوظ للمؤلف »  
تم طبعه في الخامس عشر من شهر تموز ، سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف .



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

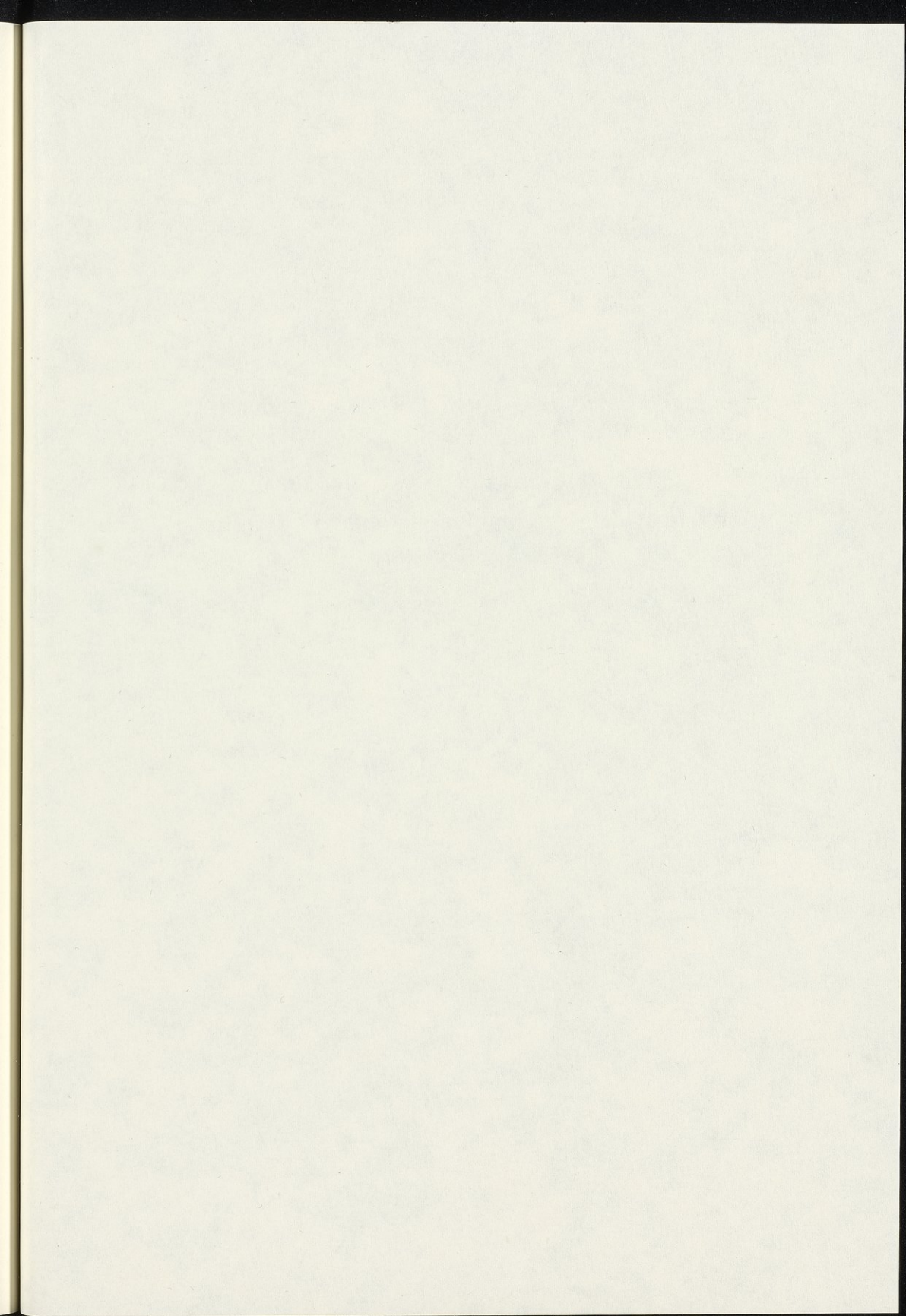
PAIR>

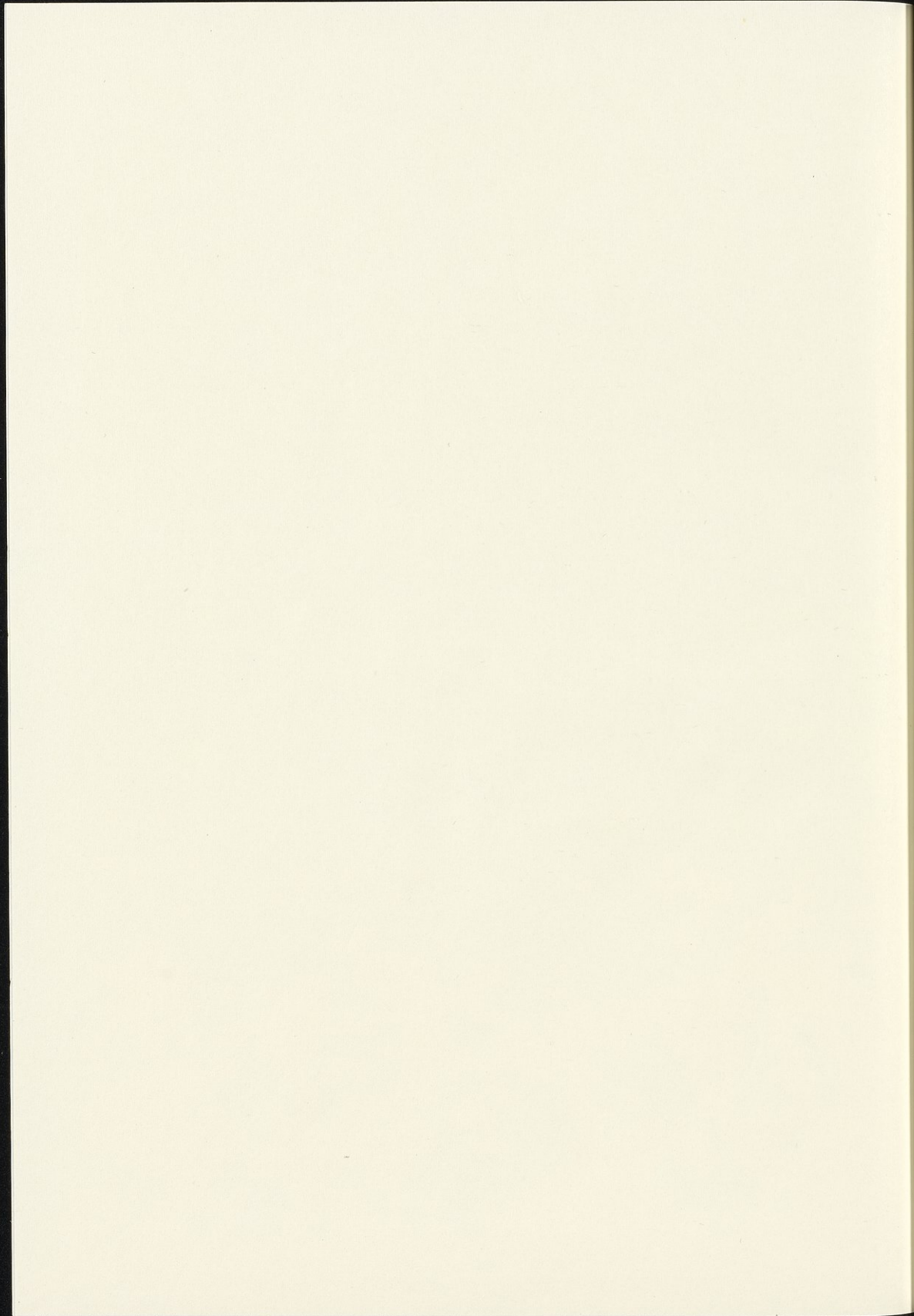


32101 017832724

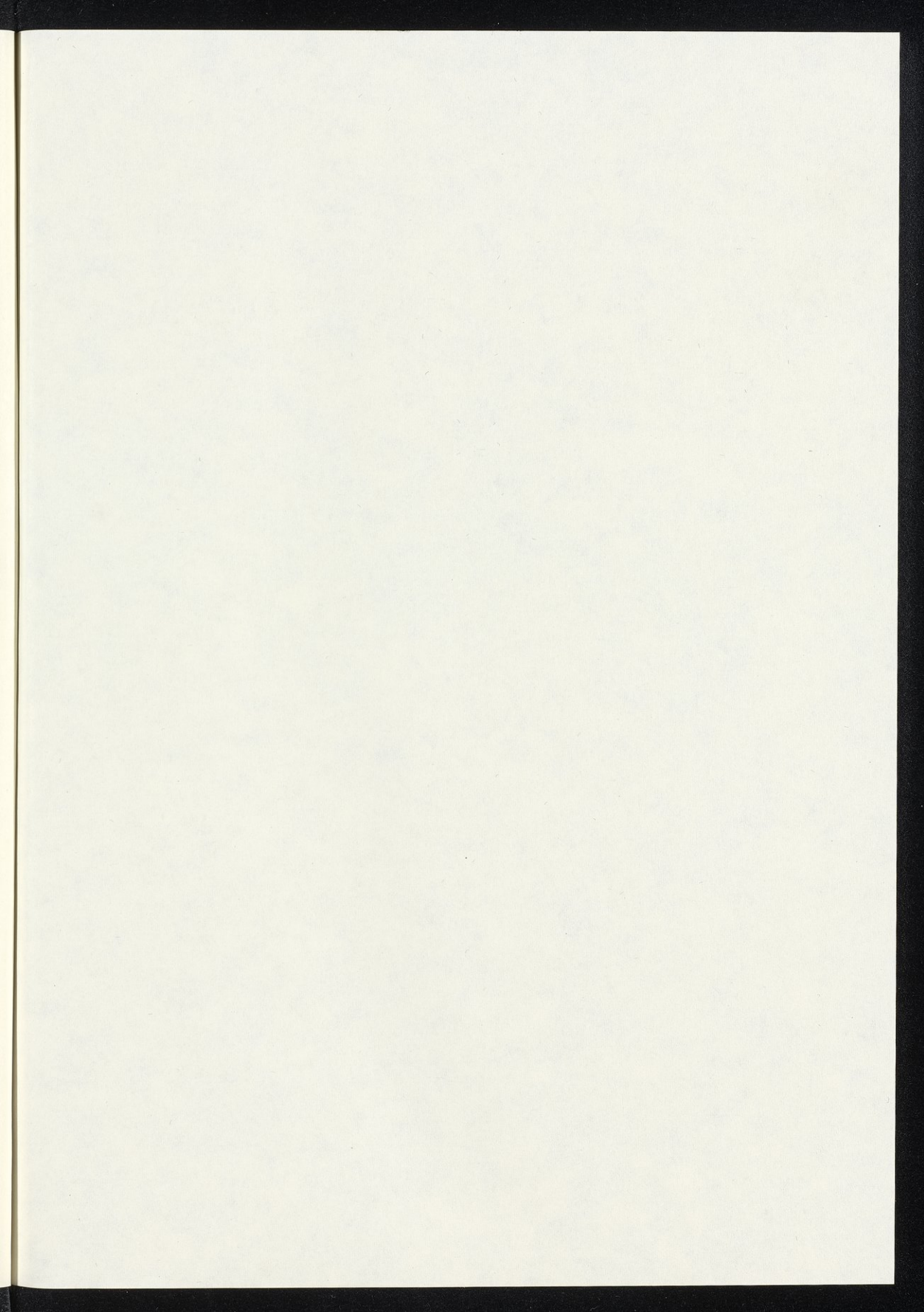
This preservation photocopy was made at BookLab, Inc., in compliance with copyright law. The paper is Weyerhaeuser Cougar Opaque Natural, which exceeds ANSI Standard Z39.48-1984. 1991

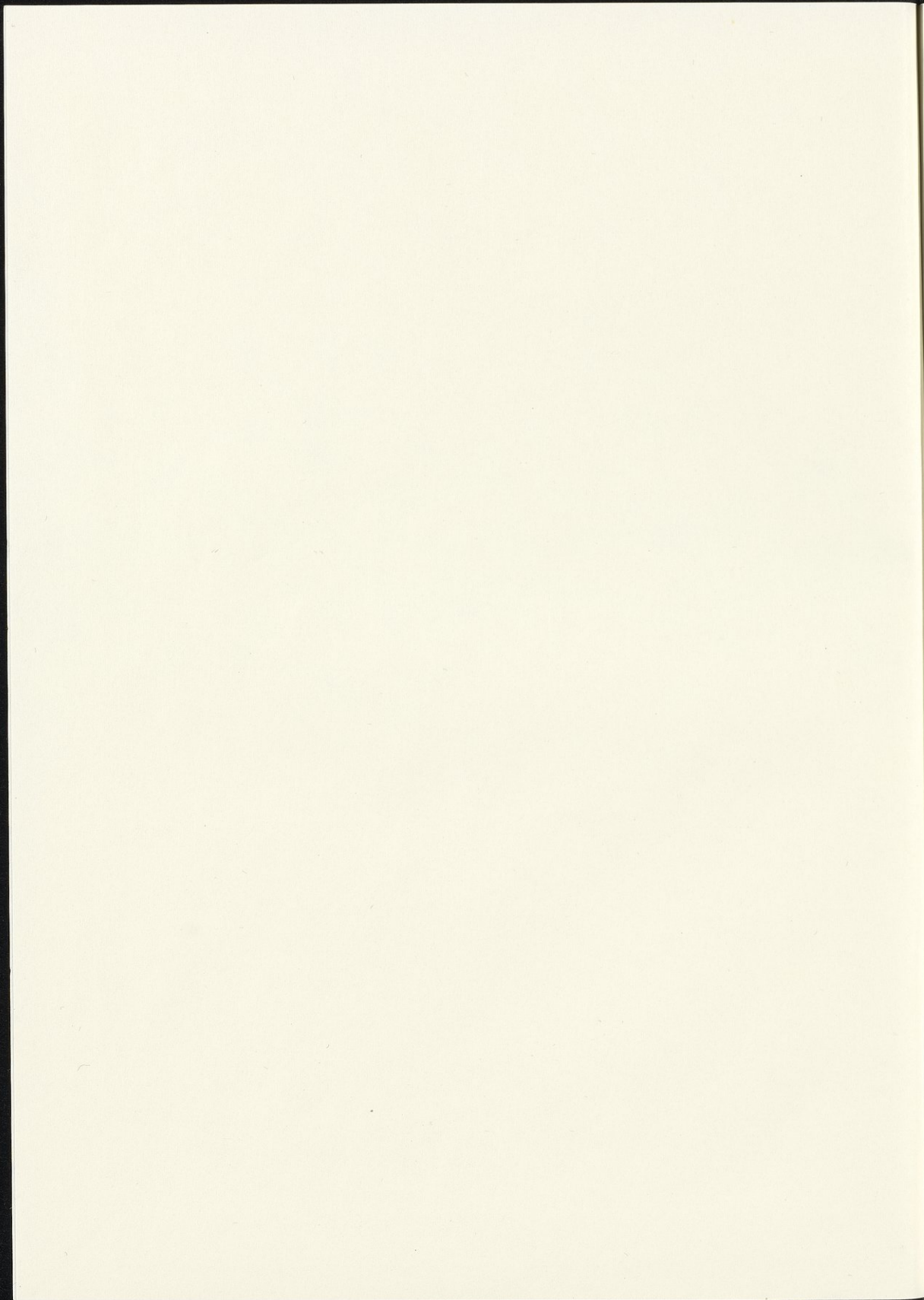




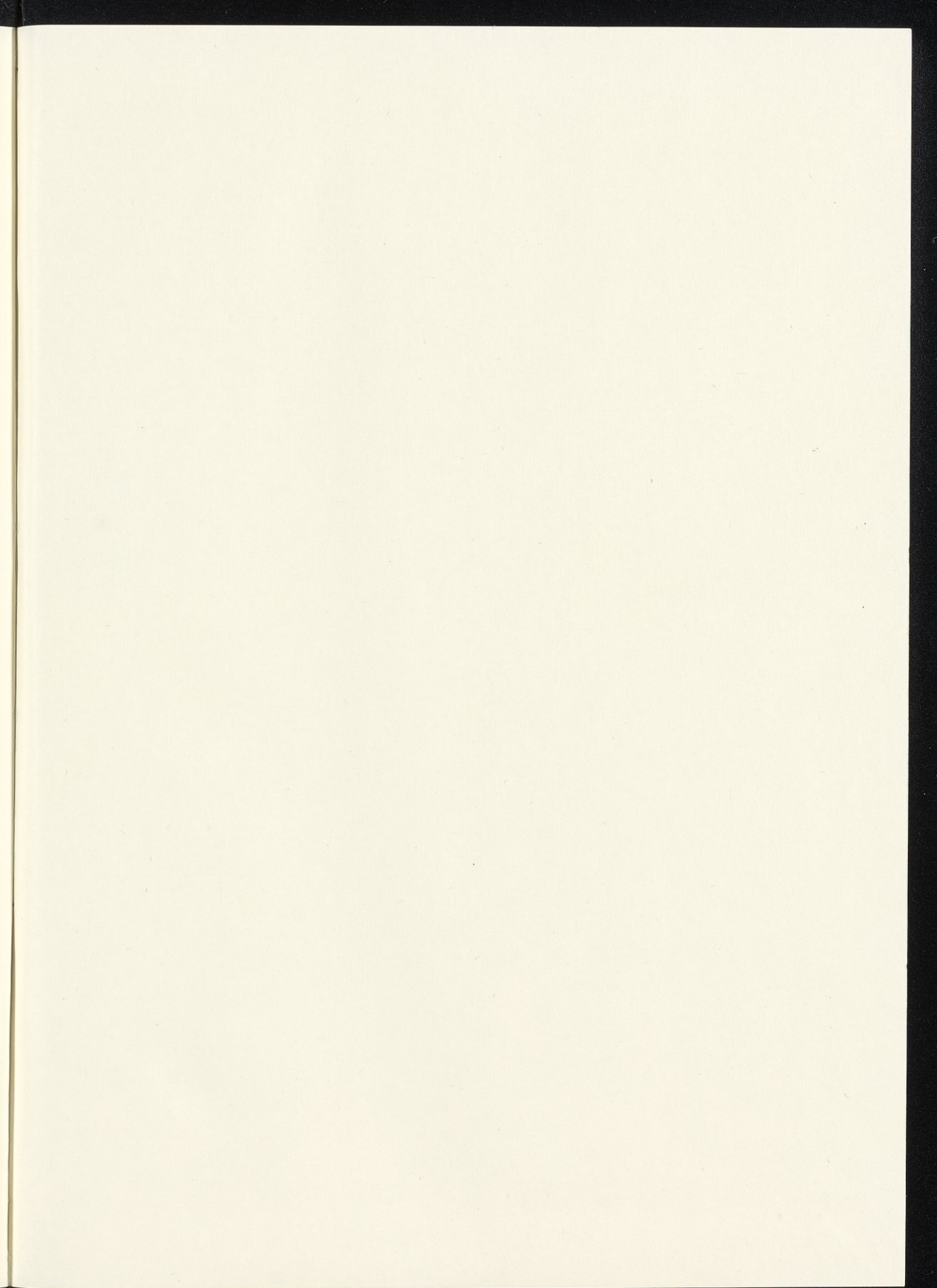


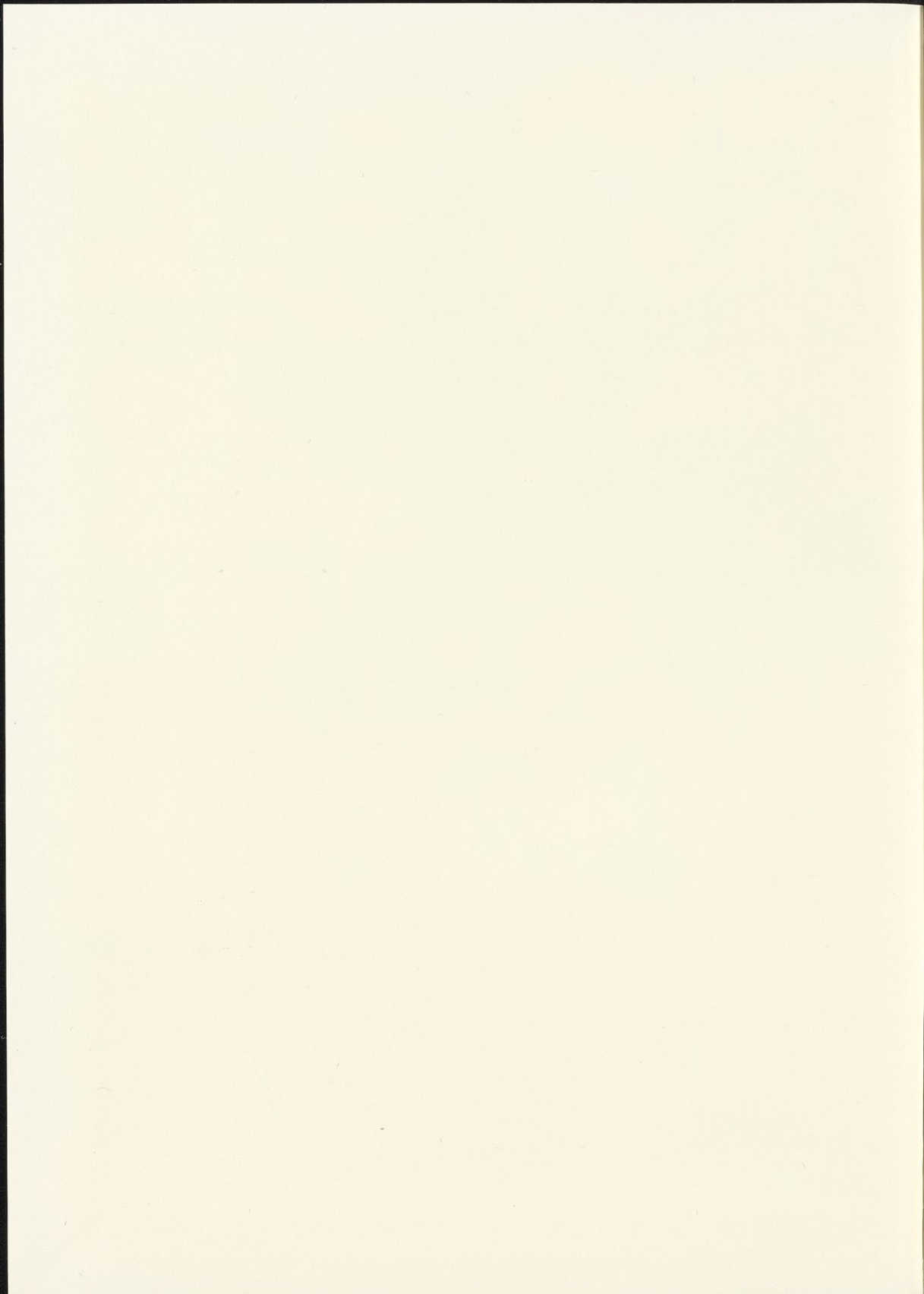




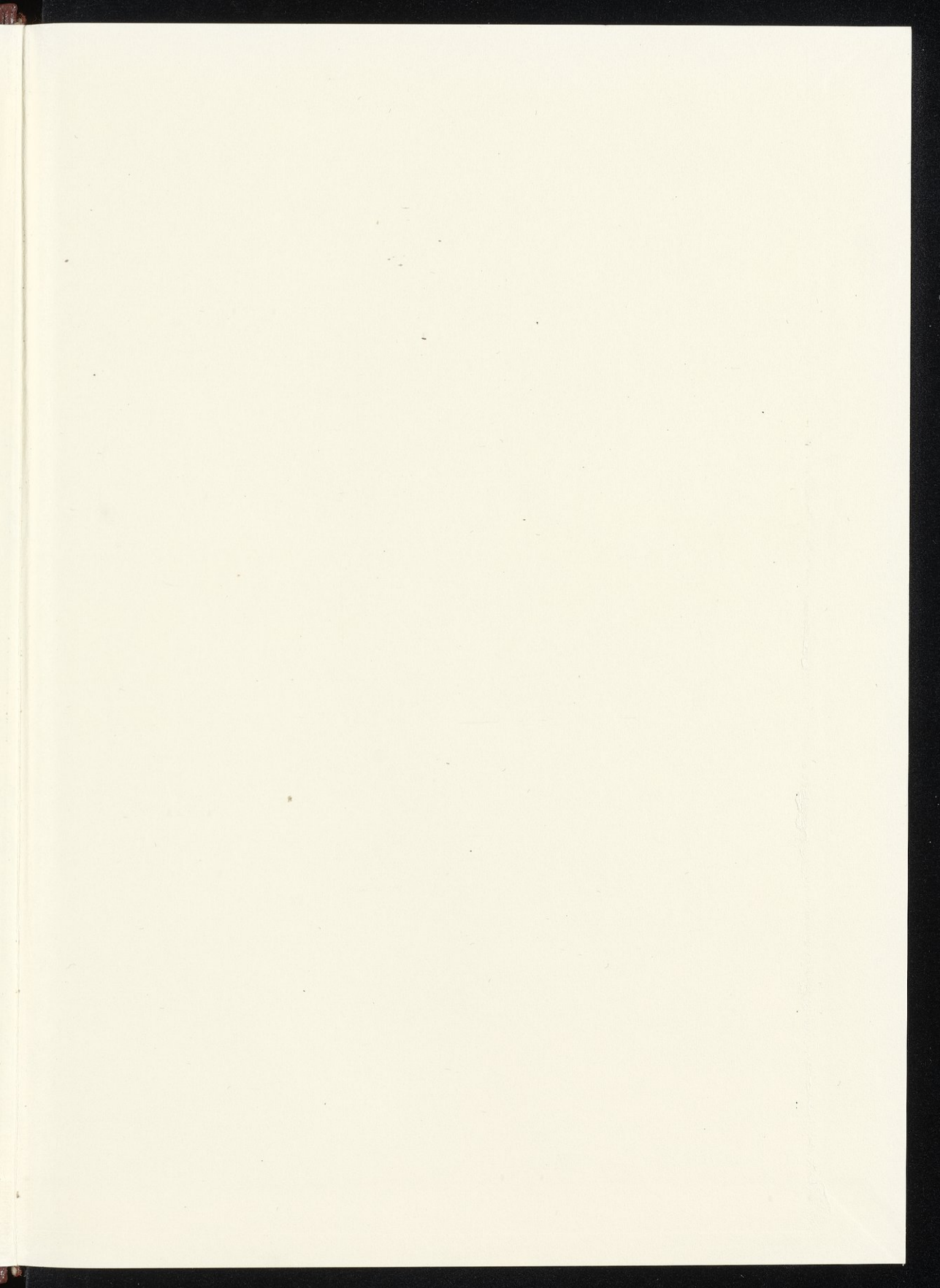


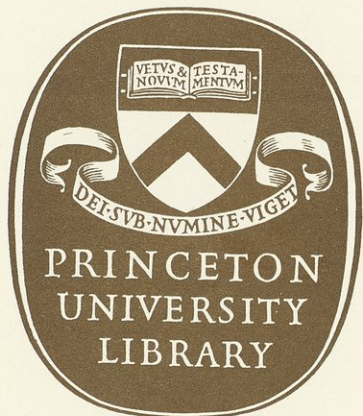














(NEC)

PJ7852

.A54

M8325

1942